

مكتبة الشعراوي الإسلامية

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

نهاية العالم

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوي

رئيس مجلس الإدارة:

إبراهيم سعدة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلوة والسلام على
سيدنا رسول الله.

أَسْأَلُ اللهَ أَنَّهُ يَكُونَهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ

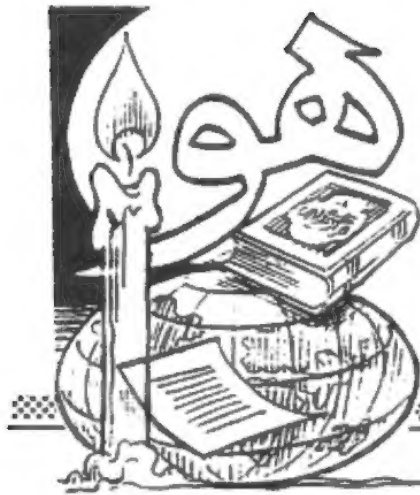
الَّتِي مَقَّدَ رَحْمَةً عَلَيَّ خَلُوصَةً عَلَى

طَرِيقِهِ الْهَرَمِيِّ وَنُورِ أَيْنِهِ الْإِلَهِيِّ بِإِيجَادِهِ

وَاللَّهُ نَسْأَلُ الْهَدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ

محمدي الشراوي

الفصل الأول



المتغير والثابت

الحديث عن نهاية العالم أخذ اهتماما من العلماء ، ومن الدجالين والمشعوذين وغيرهم ، كل واحد منهم يحاول أن يتنبأ .. باليوم أو الوقت الذي سينتهى فيه العالم الذي نعيش فيه . وكل النظريات العلمية التي قيلت أو التي تقال ، أساسها

التخمين والظن وليس العلم ، ذلك لأن العلم البشري - بطاقته المحدودة - لا يمكن أن يصل إلى يقين حول هذا الموضوع ، فعلم الفضاء مازال كطفل يحبو .. وإذا كانت آخر الاكتشافات التي وصلت إليها البشرية ، تقول أن هناك نجوما وشموسا أبعد عن الأرض بمليون سنة ضوئية أو أكثر ، فإن ما نعلمه أقل القليل بالنسبة لما نجهله في هذا الكون الفسيح ..

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن السماء هي كل ما فوقنا .. فمعنى السماء هو ما يظلك من فوقك ، والله تبارك وتعالى يقول :

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

(الآية ٤٧ سورة الذاريات)

والاتساع هنا بالنسبة للسماء هو اتساع بقدرات الله وليس بقدرة البشر ، ولذلك كلما اعتقد العلماء أنهم وصلوا إلى نهاية ، وجدوا كشافا جديدا يتعارض مع ما أعلنوه يفتح لهم آفاقا جديدة ، وتتغير النظريات كل عدة شهور ، تثبت هؤلاء أنهم ظنوا فقط أنهم وصلوا إلى الحقيقة ، ولكنهم لم يصلوا إلى شيء .

فإذا ما نظرنا إلى العرافين والدجالين وجدنا أنهم في كل عام
أو عدة أعوام يتنبأون أن نهاية العالم ستحدث في يوم كذا!!!
والعجيب أن عددا كبيرا من الناس يصدقهم .. رغم أنهم
لا يستندون إلى علم .

لقد حدث في أمريكا أن تنبأ أحد الدجالين بأن العالم
سيتهى يوم كذا ، فصدقته الناس وتركوا منازلهم وصعدوا إلى
أعلى الجبال ظنا منهم أنها تنجيتهم ، وطبعا مر اليوم ولم يحدث
شيء ، وعرف الناس أنهم خدعوا .

وهناك عشرات العرافين من الهنود والسيخ وغيرهم ،
يعطون نبوءات عجيبة عن نهاية العالم كلها خاطئة ، لاتقوم
على علم ولا على فهم ، وإنما هي مجرد شعوذة يقصد منها كسب
المال .. ذلك أن موعد نهاية العالم لا يعلمه إلا الله سبحانه
وتعالى .. لأن له موعدا حدده الله جل جلاله ، ولم يطلع عليه
أحدا حتى أقرب ملائكته .

وقبل أن نبدأ الحديث لابد أن نتكلم عن الثابت والمتغير ..

فالثابت هو الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من أجل
الانسان . لقد جعل الله هذا الكون الفسيح من سماء وأرض
وما بينهما مسخراً من أجل الانسان يؤدي مهمته كما أرادها الله
بنظام ثابت لا يتغير ، أما الانسان الذي خُلِقَ من أجله
الكون .. فهو الذي يتغير ..

إن الانسان يتغير من قوة إلى ضعف ، ومن صحة إلى
مرض ، ومن قوة إلى عجز ، ومن حياة إلى موت ، ومن عقل

إلى جنون .

فالمتغيرات كثيرة في حياة الناس من حال إلى حال ..
بخلاف الكون الذى من طبيعته الثبات وعدم التغير .

اننا اذا لاحظنا التغير الذى يعترى الإنسان نجده يتم
بقانون لانعرفه ، فانتقال الانسان من الصحة إلى المرض ،
أو من القدرة إلى العجز ، أو من الحياة إلى الموت ، وهى أشياء
ليست لها عمومية الحدث ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نحدد متى
ينتقل الإنسان من الصحة إلى المرض ، ولو عرفنا تحديده
وقوانينه ربما استطعنا أن نمنعه وننتحكم فيه ، وهو قانون غائب
عنا برغم كل ما يقوله العلماء ، فإصابة الإنسان مثلاً بجلطة فى
المخ أو ذبحة صدرية أو غير ذلك ، لم يستطع الطب أن يصل
فيه إلا إلى قانون الاحتمال الذى يقوم على أساس الاحصاءات
التي قد تعطينا بعض الاحتمالات ، ولكنها مجرد ظن لا يستند
إلى حقيقة علمية .

كذلك انتقال الإنسان مثلاً من الغنى إلى الفقر ، أو من
الفقر إلى الغنى ليس له قانون نعرفه ، وكذلك كل المتغيرات
التي تحدث فى حياتنا . والإنسان - أيضاً - لا يعرف متى يفارق
الدنيا ، قد يكون فى أتم الصحة ويسقط ميتاً فى لحظة ، وقد
يكون الإنسان مريضاً ويعيش سنوات طويلة .

ولكن لماذا كان الانسان هو المتغير ، بينما جميع ما خلق له
قوانينه ثابتة لا تتغير ؟ والجواب على ذلك أن هذا الكون خلق
للإنسان ليعطيه مقومات حياته ، وأنه لم يخلق لجيل واحد
يستقبله ثم ينتهى بإنتهائه ، بل هو مخلوق لأجيال من البشر

حتى يوم القيامة ، ولذلك هو يستقبل جيلا بعد جيل بنفس
العطاء وينفس القوانين .

إن الأرض منذ عهد آدم وحتى الآن إذا وضعت فيها الحب
وسقيته بالماء واعتنيت به ، وخلصته من الآفات التي قد تصيبه
أعطتك الثمر ، ومنذ عهد آدم إلى الآن لم ترفض الأرض أن
تعطى كل جيل من ثمارها ، ولا هي قالت سأعطى الثمار لهذا
الجيل وأمنعه عن الجيل الذي بعده .

والشمس منذ عهد آدم حتى الآن تشرق بمقاييس ثابتة
وتغرب بمقاييس ثابتة . فلم نعرف أنها أعطت أشعتها لجيل
وامتنعت أن تعطيها لجيل آخر ، وكذلك المطر والهواء وغير
ذلك من مقومات الحياة .. انها تعطى كل الأجيال ، لم
تتخلف عن ذلك قط .. يدل ذلك على قول الحق سبحانه
وتعالى :

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾

(الآية ٥ سورة الرحمن)

(أى بحساب دقيق .. لا يختل ثانية ولا يتغير)

إذن هناك في الكون مخلوق ومخلوق له .. المخلوق الذي
خلقت له الأشياء «وهو الانسان» نراه يتغير ويتبدل من حال إلى
حال وهذا واقع نشاهده ، إنه يتغير وذاته باقية .. أى وهو على
قيد الحياة إلى أحوال متعددة ، ثم بعد ذلك يتغير بفناء ذاته عند
الموت .. وهذا التغير الذى يمر به الإنسان - سواء فى حياته
أوبعد موته - ليس له حدود ولا مواقيت ، ولا مواقف
ولا أسباب ، إنها قوانين غائبة عنا .



الإنسان .. وقوانين المتغيرات

إن الإنسان في حياته يتغير كل يوم ، يخضع لقوانين لا نعلم عنها شيئا ، فهو في حالة اليقظة له قانون ، وفي حالة النوم له قانون آخر لا نعرفه ، ولذلك عندما ينام الإنسان يرى أشياء لا تخضع للعقل .. يرى أنه يتكلم مع أشخاص انتقلوا إلى رحمة الله منذ فترة طويلة ، أو يسقط من فوق جبل فلا يصاب بسوء ، أو أنه يذهب إلى آخر الدنيا ويعود في دقائق معدودة . وهو يرى وعينه مغمضتان ، ويمشي وقدماه فوق السريـر لا تتحركان ، ويتكلم ولسانه ثابت لا يتحرك ، ويرى أنه يعذب أو ينعم .

إن كل هذا يحدث في لحظة واحدة .. انتقال الإنسان من قانون اليقظة إلى قانون النوم ربما يحدث في أقل من دقيقة . وهذا يجعلنا نعرف أن انتقال الإنسان من قانون إلى قانون مختلف تماما ، هو عملية سهلة على الله سبحانه وتعالى .. وإذا قرأنا القرآن الكريم .. نجد أن الحق تبارك وتعالى يقول :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ
فِي مَنَامِهَا فِيمِنْكُمْ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الاية ٤٢ سورة الزمر)

فانتقال الإنسان من اليقظة إلى النوم .. يشبه انتقاله من الحياة إلى الموت .. ورغم هذا التشابه .. فإن القوانين مختلفة . فالنائم ترد روحه إلى جسده عندما يستيقظ ، والذي يُتَوَفَّى لا ترد روحه إلى جسده إلا يوم القيامة .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«والذي نفسى بيده إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون . ولتجزون بالأحسان إحسانا .. وبالسوء سوءا . وأنها لجنة أبدا أو لنار أبدا» .

والذي يموت يرى ساعة الاحتضار ما لا يراه الإنسان ساعة النوم .. فهو يرى الملائكة ويرى كل ما هو غيب عنه ، ويعرف مصيره إلى الجنة أو إلى النار .

هذا الانتقال من قانون إلى قانون ، يتم دون أن يعرف أحد من البشر الكيفية التي يتم بها . إن هذا تغير من حال إلى حال ، ثم عودة إلى الحال الأول .. كلها قوانين غائبة عنا رغم أنها تقع علينا وتؤثر فينا !

وإذا نظرنا إلى الكون كله . نجد أن الكون يدار بما يفيدنا ، ولكننا لانعرف كيف يدار ، فالمطر مثلا يشرب من مائه كل من في الأرض ، وهو أساس الحياة .. مصداقا لقوله تبارك وتعالى

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(من الآية ٣٠ سورة الأنبياء)

ولقد عاش الإنسان فترة طويلة .. لا يعرف شيئا عن المطر

ولا يدري كيف يتم البخر من البحار ، ثم يتكثف الماء في طبقات الجو العليا ، ثم ينزل مطرا ، هل عدم علم الإنسان بكيفية نزول المطر منعه من الاستفادة منه في الري والشرب وغير ذلك ؟ لا .. وحتى يومنا هذا لا فرق بين الذي يعرف كيف ينزل المطر ، وبين الذي لا يعرف في الانتفاع بالماء في الكون ، قليل من أولئك يعلمون ، وكثير أولئك الذين لا يعلمون ، ولكننا جميعا نستفيد بمياه المطر ، وكذلك الشمس والهواء والأرض . علمت أسرارها وقوانينها أو لم تعلم .. فإنك تستفيد منها .

العلماء أجهدوا أنفسهم في البحث عن أسرار الكون ..
وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكشف لهم من أسرار الكون ..
مايزيد علمهم بما أودع الله في كونه من قوانين .

وهذه القوانين جعلت الحياة أكثر سهولة بالنسبة للإنسان قللت مما كان يبذله من جهد ، فبعد أن كان الإنسان يذهب إلى البئر ليشرب . أصبح الآن يجِد الماء في بيته ، وبمجرد إدارة مفتاح الصنبور تجد الماء أمامك .. هذه ارتقاءات في الاستخدام ولكنها لم توجد الشيء المستخدم .



العقل واكتشافات الكون

الجاذبية مثلا أدت عملها منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الكون ، ولم يعرفها الإنسان إلا متأخرا ، ولكنها كانت تؤدي دورها . . نقل الأثير للأصوات مثلا وغير ذلك ، كلها تخدم الإنسان دون أن يعرفها أو يعرف قوانينها .

ولكى نقرب هذه الصورة إلى الأذهان نقول أنك إذا جئت بإنسان أعمى . . وقلت له إذا أردت ضوء الكهرباء لتضيء المكان . . اضغط على هذا المفتاح ، وإذا أردت أن تشاهد برامج التلفزيون أدر هذا المفتاح . . هل حال جهل هذا الأعمى دون انتفاعه بضوء الكهرباء أو مشاهدة التلفزيون ؟ يحل ، فهو كلما احتاج إلى ضوء ضغط على مفتاح الإضاءة ، وكلما أراد مشاهدة برامج التلفزيون أدار المفتاح .

إذن فعدم علمه بأسرار الكهرباء وقوانينها ، أو أسرار نقل برامج التلفزيون وكيف يتم نقلها لم يمنعه من أن يستفيد منها وأن يستخدمها .

وكذلك كان الكون وسيظل ، وكلما بحث العقل البشري ، وكشف الله له من آياته في الكون . . ارتقى البشر في الانتفاع والنفع .

إن الأشياء التي كانت تتطلب مجهودا شاقا وزمنا كبيرا . . تتم الآن بمجهود قليل وفي زمن أقل ، والذي كان يحمل أربابا

من الحبوب على ظهره ويعانى الكثير من نقله من مكان الى آخر . تلاشت هذه المعاناة باكتشاف العجلة ، ثم ما لبث أن تطورت حتى كانت هناك مركبات تجر باليد . ثم ارتقى العلم إلى ما نحن فيه من اختراعات حديثة . . اختصرت الزمن . . وقللت من المشقة ، وأراحت الانسان .

ولكن هل هذه الاختراعات ، وهذا التقدم العلمى استطاع أن يوجد مادة لم تكن موجودة فى الأرض ؟ . بالطبع لا . . فالله سبحانه وتعالى هو الموجد لكل ما فى الكون . . منذ بداية الخلق حتى يوم القيامة . . وكلما ارتقى البشر فى حضاراتهم عرفوا من آيات الله فى الكون ما يعطيهم حياة أكثر ترفاً : والله تبارك وتعالى يقول :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

(من الآية ٢٩ سورة البقرة)

قدرة الخالق فى إعجاز الخلق نراها كل يوم . . ومهما تقدم الإنسان فى العلم وتطور عقله ، أعطاه الله وكشف له من الأسرار ما كان غيباً عنه ، فإنه لا يخلق شيئاً جديداً ولا يصنع شيئاً إلا من موجود ، ومع أن هناك أشياء يعتقد بعض الناس أن الإنسان قام بالإسهام فيها . مثل الزرع مثلاً وتحسين النوع ، والاكتشافات الجديدة التى دخلت فى خدمة الانسان . . كقدرته على الطيران . . أو إطلاق الأقمار الصناعية . . أو النزول على سطح القمر . . إن هذه الأشياء كلها لم تحدث ابتداءً ، وإنما تمت من موجود كان خافياً حتى لحظة اكتشافه !

فالإنسان لكي يكتشف الصاروخ . . درس قوانين الغلاف
الجوى ، ودرس قوانين الطاقة الموجودة التي يحتاجها
الصاروخ .

ولكن هل كانت هذه القوانين غير موجودة في الكون عندما
خلقه الله ؟ . . طبعاً كانت موجودة ، وهى من خلق الله من
أول ما قال سبحانه وتعالى للكون : «كن» .

إن أحدا لا يستطيع أن يدعى - مهما بلغ علمه - أنه قد صنع
غلافا جويًا جديدًا للأرض ، أو أنه قد بدل أو غير في تكوين
الغلاف الجوى حتى يستطيع أن يحمل صاروخاً إلى الفضاء .
أو أنه قد فتح باباً للغلاف الجوى حول الأرض ، حتى يمكن
للإنسان أن يخرج منه ويصل إلى القمر . .

لا أحد يستطيع أن يدعى أنه فعل ذلك ، فالله تبارك
وتعالى . . هو الذي خلقه وأوجده على هذه الصورة ، ثم
كشفه للإنسان وعرفه استخداماته .

إذن كلما ارتقى البشر في حياتهم . . زاد علمهم بآيات الله
في كونه . . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(من الآية ٢٨ سورة فاطر)

لماذا لا بد أن يكون العلماء أكثر خشية لله ؟ . . لأنهم هم
الذين عرفوا بعض آيات الله في كونه ، تلك الآيات التي تشهد
بعظمة الخالق ، ودقة صنعه ، ويدل أن يسجدوا خضوعاً
لعظمة الله ، أخذوا يتحدثون عما اكتشفوه من أسرار الكون
وكانهم هم الذين أوجدوه !

والله سبحانه وتعالى يقول في محكم آياته :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(الآية ٥٣ سورة فصلت)

وكلما مر الزمن . نقرأ الآية الكريمة : «سنريهم» .. كأن
آيات الله تبارك وتعالى في كونه وفي خلقه حتى نهاية العالم .

إننا لابد أن نتوقف قليلا ، لنرى كيف أن منهج الله موضوع
بدقة فائقة ليقود الإنسان إلى الإيمان . فكل ما في هذا الكون
وضع بحكمة لخدمة الإيمان ، ولخدمة منهج الله .

إن الله تبارك وتعالى اختار منهج الحياة لخلقهم ومعه الدليل
الإيماني ، والله سبحانه وتعالى - هو غيب عنا لانهاءه - قد يأتي
إنسان ويقول : أنا لا أصدق إلا ما أراه !! نقول له
لا تتسرع ، لأن الوجود شيء ، وإدراك الوجود شيء آخر
تماما .

ولنأخذ الجراثيم التي تفتك بالبشرية وتأتينا بالأمراض
مثلا .. ألم تكن هذه الجراثيم موجودة عند بداية الخلق ؟ نعم
كانت موجودة ولكن لدقة حجمها لم تكن نراها ، بل أكثر من
ذلك ، إنها كانت تؤدي مهمتها في الكون ، ولها مهام كثيرة
دون أن نعرف عنها شيئا ، ثم تقدم العلم واخترعت المناظير
المكبرة التي تكبر الشيء مئات المرات أو الوف المرات ..

فاكتشفنا هذه الجراثيم ، وإذا بها مخلوقات غاية في الدقة لها قوانينها الخاصة بها ، ولها دورة حياتها وتتناسل وتتكاثر ، وتستطيع أن تحرق جلودنا ونحن لانحس بها ، وأن تدخل إلى الأوعية الدموية ونحن لانحس بها أيضا ، وأن تقضى فترة حضانة داخل الدم .. تتكاثر فيها وتحدث معارك بينها وبين كرات الدم البيضاء .. إلى آخر ما نعرفه الآن بعد اكتشافنا لها ومعرفتنا إياها .

والسؤال هنا : هل خلقت هذه الجراثيم ساعة رأيناها ؟ .. طبعاً لا .. إنما كانت موجودة منذ بداية الخلق ، ولكننا لم نكن نعرف أو ندرك وجودها .. وكذلك كل شيء في الكون . فالغلاف الجوى أو الأثير .. الذى يحمل لنا الآن الصوت والصورة ويطوف بهما في كل أنحاء الأرض في ثوان معدودة ، بحيث تستطيع وأنت في بيتك أن ترى نزول الانسان على القمر في نفس اللحظة التى ينزل فيها ، أو ترى حدثاً هاماً ساعة وقوعه وأنت جالس في حجرتك والحدث على بعد ألف الأميال منك .

والسؤال : هل أضاف الإنسان .. إلى الغلاف الجوى خاصية نقل الصوت والصورة حول العالم في ثوان .. الجواب طبعاً لا .. فالغلاف الجوى كما خلقه الله سبحانه وتعالى موجود بكل خصائصه ، ولكننا لم نكتشف هذه الخاصية .. إلا في الفترة الأخيرة ، كما أننا لم نكتشف أن الهواء يمكن أن يحمل الطائرات بكل ما فيها من أجسام ثقيلة .

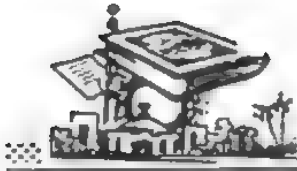
إذن كل الخصائص كانت موجودة في الكون عندما خلقه الله تبارك وتعالى . ولكننا لم نكتشفها إلا عندما أذن الله بها ،

فظهرت لنا وعرفناها واستخدمناها ، وذلك حتى يخدم كل
ما في الكون قضية الإيمان ..

فإذا جاءك إنسان وقال لك : إن الله سبحانه وتعالى غيب
فكيف تؤمن به ؟ ..

نقول له إن الله جل جلاله قد أعطانا من الأدلة في الكون
ما يجعلنا نعرف يقينا أن ما هو غيب عنا موجود ، وإن لم نكن
نعرف وجوده ، والموقف هذا لا بد أن يخدم العلم قضية الإيمان
ويقربه لنا .. فكلما كشف الله لنا شيئا .. قلنا سبحانه الله
الذي خلق فأبدع فصَّور ..

ولكن بدلا من أن نتخذ العلم قضية تقربنا من الإيمان
أكثر .. اعتقدنا أننا وصلنا إلى هذه الأشياء بذاتيتنا ، وأنا نحن
الذين أوجدناها في الكون ، وأنها من صنعنا ، ونسبناها إلى
بشريتنا بدلا من أن ننسبها إلى خالقها العظيم .. وأصبح
الناس يستخدمون العلم في محاربة الإيمان .. بينما العلم في
حقيقته مُثَبِّتٌ للإيمان .



بقدرات الله .. لا بقدراتك

هذه هى المأساة التى يعيشها العالم الآن .. إننا نرى أن كل ثابت فى الكون يخدم الانسان جيلا بعد جيل بدون تدخل أى ارادة بشرية .. وبدون أن ندرى عن قوانينه شيئا .

لكن انقلبت الآية وأصبحنا ندعى أننا نخضع الأرض بذواتنا وأننا نجعلها تنبت لنا الزرع بقدراتنا ، بل تجاوزنا هذا المعنى لنطعن فى المغيبات الخمسة التى أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها ، وأنها انكشفت للإنسان ، أصبح هناك من يقف امام كاميرات التليفزيون ويقول إن الإنسان هو الذى ينزل الغيث أو المطر ، مع أن نزول الأمطار يتم بلا عمل منا ، فلا يوجد إنسان يستطيع أن يدعى أنه هو الذى يسلط أشعة الشمس على البحار ، حتى يصعد بخار الماء الى طبقات الجو العليا ، ولا أحد يستطيع أن يقول أنه هو الذى يكثف هذا الماء ليصبح سحابا ، ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه يصدر الأوامر إلى الريح لتدفع هذا السحاب إلى المكان الذى قدر الله فيه نزول المطر ، ولا أحد يمكن أن يقول إنه يجعل هذا السحاب يصطدم بقمم الجبال الباردة فيمطر .

كل هذه العملية .. تتم دون أن ندرى عنها شيئا .. وأقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا

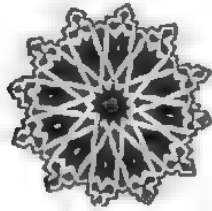
أَفَلَمْ نَكُتَابًا نَقَّالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ
نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

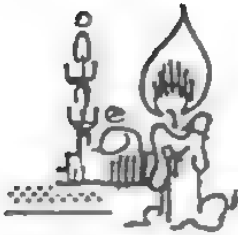
(الآية ٥٧ سورة الأعراف)

الله سبحانه وتعالى بقدرته .. هو الذى ينشئ
السحاب .. وهو الذى يسوقه الى حيث يشاء . ويقول جل
جلاله :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي سَحَابٍ ثُمَّ يُؤْتِي السَّيْلَ مِنْهُ مَاءً مَجْجَلًا
فَنَزَّلُ الْمُدَّ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ
بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ مَنَا
بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾

(الآية ٤٣ سورة النور)





المغيبات .. والغرور الانساني

الحق سبحانه وتعالى يذكر لنا في القرآن الكريم الحقائق الثابتة بالنسبة للمطر . ولأن العلم قد اكتشف أنه بقاء مادة كيميائية على السحاب تمطر ، يأتي مدع مغرور ليقول إنه استطاع أن ينزل المطر ، وأن إحدى المغيبات الخمس التي انفرد الله بعلمها قد انكشفت له ، والتي جاءت في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

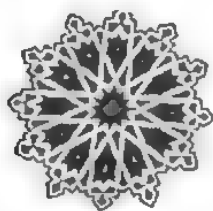
(الآية ٢٤ سورة لقمان)

إننا نقول لهذا الانسان أين أنت من نزول الغيث ؟ .. إنها عملية ضخمة هائلة .. تبدأ من البحر من البحار إلى أن ينزل المطر .. ولا يستطيع الغالم كله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن ينزل قطرة ماء .. ولو كان الانسان قادرا على أن ينزل المطر لجعل المطر يروى الصحارى .. حتى ليتمكن من زراعتها .. أو كان من الممكن إذا نزل مطر غزير على أحد الأماكن ، أن يأخذ السحاب ويجعلها تمطر في مكان آخر .. لينجي أهل هذا المكان من الفيضانات والغرق ، والله سبحانه وتعالى ينزل من

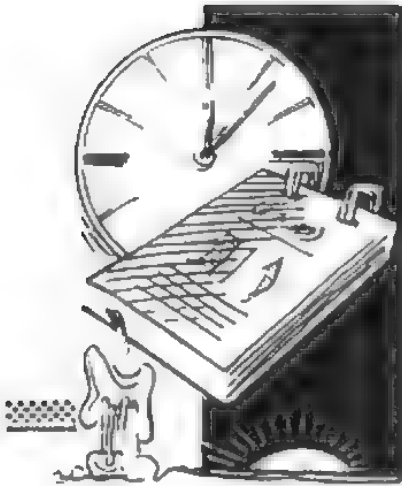
السماء المطر . . يشرب منه الناس جميعا . . هم وأنعامهم وكل
شيء حي ، والله خلق الأنهار التي تمتد ألف الكيلومترات . .
فهل يستطيع العلم أن ينشئ لنا ترعة صغيرة في وسط
الصحراء ؟

إنها لما يحزن أن الناس بدل أن يستخدموا العلم استخدامهم
الصحيح لخدمة الإيمان . . إنطلقوا يستخدمونه لخدمة الكفر
والإلحاد ، وبدلاً من أن ينسبوا ما في الكون إلى قدرة الله
سبحانه وتعالى . . نسبوه إلى أنفسهم وقدراتهم .

وخلاصة القول أن الكون كله مخلوق لله لخدمة الإنسان
وأنه ثابت لا يتغير . أما الإنسان فإنه يتغير من حال إلى
حال . . بقوانين غائبة عنا لا نعرفها ، وأن الله سبحانه
وتعالى . . قد جعل آيات الكون كلها تخدم قضية الإيمان ولكن
الإنسان جعلها تخدم قضية الكفر والإلحاد .



الفصل السادس



البحاية والنهاية

الله سبحانه وتعالى هو وحده واجب الوجود ، ووجوده بلا بداية ولا نهاية ، وكل خلق من خلقه له بداية وله نهاية . الكون كله بما فيه ومن فيه له بداية وله نهاية ، وعندما تقوم القيامة . . يتم تدمير كل شيء في هذا الكون . . بشمسه وقمره ونجومه وأرضه وجباله وبحاره . يقول جل جلاله في القرآن الكريم عن هذه الحقيقة :

﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

(الآية ٤٨ من سورة ابراهيم)

وهكذا نخبرنا الله جل جلاله في القرآن الكريم أن هذه الارض التي نعيش عليها بالأسباب ، مضمور فيها أقواتها حتى يوم القيامة . . فإذا جاء يوم الحشر . . تدمر هذه الأرض وتأتى أرض جديدة . . هى أرض الميعاد التى يحشر عليها الناس ويحاسبون . . وسوف نخرج من قبورنا فى هذه الأرض ونساق الى أرض الميعاد . . وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فى الفصل القادم . .

اننا - نحن المؤمنين - نعرف يقينا أن هناك نهاية لهذه الحياة الدنيا . . لكن يوجد من يحاول أن يشكك فى هذ الناحية مدعيا أنه ليس بعد الموت شيء ! وكل من يقول ذلك من الذين يعتنقون الوجودية والشيوعية وغير ذلك من مذاهب الالحاد ، لم يخرجوا عن فكر الكفار فى كل عصر . . فالفكر الملحد يكرر

نفسه ولا يرتقى أبداً ، لأنه مبني على أسس من الباطل . .
والباطل يكرر ادعاءاته بأشكال مختلفة . ولكن ليس فيه
مضمون جديد . . وإقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة الجاثية)

إنك إن بحثت في كل دعوة كافرة في هذا الكون - مع
اختلاف النظريات والفلسفات وغير ذلك - تجد القائمين عليها
ينكرون البعث ويسترون وجود الله سبحانه وتعالى الذي
خلقهم ويميتهم ثم يحييهم . . وأقصى أمان الكافر ألا يكون
هناك يوم للحساب ، لأنه بطبيعته يطلق لتزواته وشهواته أن
تفعل ما تشاء . . يسرق ويقتل ويكذب ويعتدى على أعراض
الآخرين ويشهد الزور ، ثم بعد ذلك لا شيء !! هذه هي
أقصى أمان كل كافر ، ولكنها أمان كاذبة ، لأن هؤلاء جميعاً
سيفاجأون يوم القيامة بالله سبحانه وتعالى يحاسبهم على كل
ما اقترفوه من آثام . . وما اعتنقوه من باطل وإقرأ قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهَ
عِنْدَهُ رُفُوفَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(الآية ٣٩ سورة النور)

هذه هي الحقيقة التي ينكرها كل كافر ، ولكنها ستفاجئه ،
وحينئذ لا تنفعه ثروات الدنيا كلها .



الإنسان وعناصر الأرض

وقبل أن نتحدث عن النهاية ، لابد أن نستعرض البداية بشكل مجمل لنرى كيف أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان من الأدلة ما يجعله يؤمن ، بل إنه جل جلاله ساوى بين البشر جميعا ، بحيث يفهم كل انسان هذه الأدلة ، ولا يتوقف فهمها - فقط - على الذين أوتوا حظاً من العلم .

الله سبحانه وتعالى خلق آدم من عناصر الأرض . والتحليل العلمى الذى تم أخيراً أثبت أن جسد الانسان يحتوى على ١٨ عنصراً هى نفس العناصر الموجودة فى الأرض . وهكذا نرى أن العلم توصل إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

الله سبحانه وتعالى بعد أن سوى آدم بيديه ، نفخ فيه من روحه فدبت الحياة فى الجسد ، ثم خلق حواء من آدم أو من ضلع منه ، وهكذا فإن الإنسان من روح وجسد .. الجسد المادى تركه الله تبارك وتعالى ليكتشف الإنسان قوانينه على مدى العصور وعلى قدر ما يؤتى من العلم ، ولكن الروح جعلها الله سرّاً مغلقاً على الإنسان لا يستطيع أن يصل اليه . وكل الأبحاث التى تجرى عن الروح هى عبث ، لأنها سر لن يصل البشر اليه ، والروح لا تدخل فى طاقة البحث العلمى .. إنك لا يمكن أن تأخذ الروح إلى المعمل وتجرب عليها تجارب لتعرف قوانينها ..

لقد حاول الإنسان وما زال يحاول ليعرف عنها شيئا . فقد قام عالم سويسرى بتجربة وضع فيها الإنسان وهو يحتضر على سرير ملحق به ميزان غاية في الدقة ، ووجد أنه في لحظة الموت وعندما تخرج الروح من الجسد . . يفقد الإنسان جزءا يسيرا من وزنه ، بعد هذه التجارب قال هذا العالم : إن الروح لها وزن دقيق جدا . . لا يتجاوز جزءا من المائة من الجرام . . لقد ادعى هذا العالم السويسرى أن هناك وزنا بسيطا جدا للروح محاولا بذلك أن يثبت أن الروح جرم مادي له وزن غاية في الدقة .

هناك من العلماء من أنكر وجود الروح وقال هي الزمن أو الطبيعة ، وبعضهم التجأ الى فلسفات أخرى وقال إنها هي التي تعطى الجسم الحياة . . والله سبحانه وتعالى يقول عنها في كتابه المحكم :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ من سورة الاسراء)

ويجب أن ندرك أن هناك الروح ، وهناك الجسد ، وهناك النفس ، والنفس هي التقاء الروح بالمادة ، أو امتزاج الروح والجسد . والتكليف من الله تبارك وتعالى لا يأتي للروح وحدها ، ولا يأتي لجسد خرجت منه الروح ، وإنما يأتي عندما يمتزج الروح والجسد . . وذلك مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٧﴾

(الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ سورة الشمس)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس ، وهى فترة التقاء الروح بالمادة ، والعذاب فى الآخرة والنعيم للنفس أيضا ، ولذلك يعيد الله تبارك وتعالى الخلق ، فيعيد الأجساد وتدخل فيها الأرواح لتكون معدة للحساب . ولذلك نجد آيات القرآن الكريم التى تحدثنا عن الآخرة لا تذكر فيها الروح وحدها ولا الجسد وحده ، بل تذكر النفس . . فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ تَرْتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(من الآية ١٦١ آل عمران)

وقوله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾

(الآية ٢١ سورة ق)

ويقول جل جلاله :

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ مَا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾

(الآية ٤٨ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس ، والعذاب للنفس . . والنعيم للنفس . . باعتبار أنها امتزاج الروح بالجسد أو التقاء المادة بالروح .



ما هي الروح ؟

وإذا أردنا أن نعرف الروح ، فإننا نقول إنها ذلك السر
الإلهي الذي يهب الحياة للمادة ، أو هي إرادة الله سبحانه
وتعالى لنا أن نحيا ، فإذا سلب الله هذ الارادة .. انتهت
الحياة بشكلها الدنيوي . والموت ليس نهاية لرحلة الحياة ، بل
هو نهاية حلقة من هذ الرحلة .. وبداية حلقة جديدة : . لها
قوانينها وحياتها التي يعلمها الله .

لقد بينا أن الإنسان يمكن أن ينتقل من قانون إلى قانون في
لحظة واحدة ، فعندما يضع الانسان رأسه على الوسادة وجسده
على السرير ، فإنه لحظة أن ينام ينتقل من قانون إلى قانون ،
وهذا ما وضحناه .. فإذا استيقظ من النوم ففي نفس اللحظة
ينتقل من قانون النوم الى قانون اليقظة ، وكلاهما مختلف عن
الأخر تماما .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا أن الحياة الدنيا
فترة قصيرة من رحلة الحياة الكبرى ، وشبهها بالمسافر الذي
يقضي بعضا من الوقت في ظل شجرة ثم يرحل ، ليعطينا
صورة دقيقة على قصر زمن الحياة الدنيا بالنسبة لرحلة الحياة
الكبرى . قال صلى الله عليه وسلم :

(مالى وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة
ثم راح وتركها) .

لقد تحير الإنسان في أمر الروح ، حتى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وكيف تهب الحياة للجسد ؟ .. وكانوا يعتقدون أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيأتى لهم بأشياء من عنده يطعنون بها في صدق رسالته صلى الله عليه وسلم .. ونزل قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

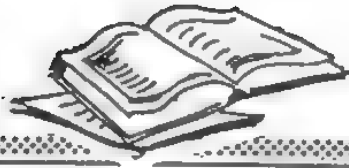
(الآية ٨٥ سورة الإسراء)

أى أن الروح ستظل سرا من أسرار الله سبحانه وتعالى .. وغيبا عنا الى يوم القيامة ..

ولكن الروح - التى هى غيب عنا - جعلها الله سبحانه وتعالى دليلا إلى الإيمان ، وقوة تلفتنا إلى قدرة الله تبارك وتعالى ، وتعلمنا كيف نمضى في طريق الإيمان ونحن واثقون من وجود الله واجد الوجود .. وواثقون من خلقه للكون ولنا .

والروح وإن كانت تعيش في جسد الانسان .. فإن صاحب هذا الجسد لا يعرف عنها شيئا .. لا يعرف كيف دخلت ، ولا كيف تخرج ؟ .. وأين مكانها في الجسد البشرى ؟ .

أهى في العقل الذى يعطى الاشارات لكل الجسم ليتحرك ؟ .. أم هى في القلب الذى ينبض والانسان جنين في بطن امه ؟ .. ويظل ينبض دون إرادة منا حتى تنتهى الحياة .. أم هى في اليد التى تبطش ؟ .. أم القدم التى تمشى ؟ .. أم العين التى تبصر ؟ .. أم الأذن التى تسمع .. أم اللسان الذى يتكلم ؟ .. أين هى ؟ ..



الروح من أمر ربى

لقد عجز عن ادراك الروح وكنها كل علماء الأرض الذين يجادلون في الله بغير علم ، ويأخذون الرؤية المادية على اساس أنها يقين العلم كله ، أولئك الذين يحاولون ستر وجود الله ويعلنون الكفر والالحاد . . والروح في أجسادهم وهى معهم في رحلتهم الدنيوية .

اننا لو توجهنا اليهم بسؤال محدد هو : هل الروح موجودة أو غير موجودة ؟ . . سيكون جوابهم بالقطع هو أن الروح موجودة لسبب بدهى هو أنها هى التى تعطى الحياة للجسد . ونقول لهم : اذا كانت الروح - وهى مخلوق لله سبحانه وتعالى - موجودة وجودا يقينيا في أجسادكم لا يستطيع أن ينكره أحد منكم ، وموجودة وجودا يقينيا في كل شىء حى ، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون رؤيتها أو معرفة تكوينها . . فى الوقت الذى ترون آثارها على أجسادكم . .

اذا عجزتم عن هذا بالنسبة للروح ؟ . . فكيف تريدون رؤية الله سبحانه وتعالى . . لماذا تجاهرون بأن عدم رؤيته جل جلاله . . دليل على عدم الوجود !! . . ألا تكفى هذه التجربة التى في أجسادكم ، والتى تعيش معكم رحلة العمر لتؤكد لكم انكم تفترون على الله الكذب بهذا الادعاء ولو كنتم تعقلون لسجدتم لقدرة الله تبارك وتعالى الذى وضع فيكم هذا الاعجاز ليفتكم إلى قدرة الله وعظيم علمه .

ولكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ، ولم يعط لبشر ولو علما يسيرا عن الروح ؟ .. نقول إن لهذا عدة أسباب :

أولا لنذكر عظمة قدرة الله .. ولنرى يقينا هذه القدرة التي تضع في الجسد البشرى ما يعطيه الحياة ، دون أن يستطيع أحد أن يعرف شيئا عما يهب الحياة إلى جسده .. وعندما نرى هذه القدرة نحس بعظم الخالق سبحانه وتعالى الذى وضع هذا السر فينا .. دون أن نستطيع اكتشافه ..

وثانيا أنه دليل وجود بلا رؤية ، دليل وجود لما هو غيب عنا .. فنحن نعرف يقينا أن الأرواح فى أجسادنا بالحياة التى تهبها هذه الأرواح للأجساد ، فإذا خرجت توقفت الحياة .. وبذلك نعلم يقينا أن الغيب موجود ، وأن عدم ادراكنا له ليس دليلا على أنه غير موجود .. أنه محبوب عنا ، نحن لا نراه ولكننا نستدل عليه بآثاره ، ونستدل عليه دليلا يقينيا ، وخير شاهد على هذا هى الروح التى تسكن الجسد .. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الآية ٢١ سورة النازعات)

إن نظرة الإنسان لنفسه وحدها تحمل الدليل الايمانى على أن ما هو غيب عنا موجود نستدل عليه بآثاره . ألا يكفى هذا الكون بكل ما فيه من اعجاز الخلق ، ومن قوى أكبر من قدرات البشر جميعا أن تدلنا يقينا على وجود الله سبحانه وتعالى ؟ !.

النقطة الثالثة هي ان كل ما في الكون من حقائق علمية وقوانين كونية كانت تباشر مهمتها قبل أن يكشفها الله لنا ، واكتشافنا لها أخيرا ليس معناه أننا أوجدناها ، لكن معناه أن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلمنا بها ، ولكنها كانت تؤدي مهمتها قبل أن نعلم عنها شيئا . اذا كان هذا دليلا كافيا للايمان .. فلماذا غيَّب الله عنا الروح ؟ .

نقول : إن الاكتشافات العلمية محتاجة لأن يدرس الناس ويتعلموا حتى يصلوا اليها ، ولكن ذلك الأمل الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يستطيع أن يستوعب من العلم شيئا هل نتركه بلا دليل ؟ ..

الله سبحانه وتعالى يساوى بين عباده جميعا ، ووجود الروح في الجسد شيء لا يحتاج الى علم ، بل كل الناس تعرفه لأنه يعيش معه ويعيش معها ، فإذا دخل الشك لأى نفس بشرية فيكفى أن تضرب مثل الروح ليفهمه الجاهل والمتعلم .. الذى قرأ وتعلم ، والذى لم يقرأ حرفا واحدا فى حياته .. وحقيقة الروح - علمنا بها أو لم نعلم - لا تزيد من انتفاعنا بها أو تقلل منه ، فالانتفاع بالروح لا يقتضى العلم .. فهى تعطيك الحياة والقدرة وإن كنت لا تعلم عنها شيئا .

ويجب أن نتوقف قليلا عند قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الإسراء)

ماذا تعنى كلمتى : « أمر ربى » .. أو كيف يتم امضاء هذا

الامر .. يحدد الله ذلك في قوله جل جلاله :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٨٢ سورة يس)

إذن فأمر الله هو ارادته سبحانه وتعالى .. في أن ينتقل الشيء من علمه اللدني إلى حياة البشر بكلمة « كن » .. لذلك لابد أن نتنبه الى قوله تعالى : (يقول له) .. وما دام الله تبارك وتعالى يقول له .. فإن الشيء موجود في علمه الذي وسع كل شيء ، فكل ما في هذا الكون من أحداث منذ بداية الخلق ، وقبل بداية الخلق الى يوم القيامة ، وبعد يوم القيامة موجود .

هناك ميلاد لكل شيء .. في علم الله تبارك وتعالى ولذلك عندما سئل أحد العارفين عما يجري من أحداث على الحياة والناس قال .. هي أمور بيديها ولا يبتديها ، ولذلك فإن الحياة الدنيا بكل أحداثها موجودة في علم الله ، والحساب يوم القيامة والجنة والنار ، كلها موجودة في علم الله ، بحيث لو اراد الله تبارك وتعالى أن يكشفها لمن شاء من خلقه ، فإنه يكشفها .. وإقرأ قوله جل جلاله :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

﴿ كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

(الآية ٢ سورة الحديد)

إن أحداث الدنيا وما يقع من أحداث في الآخرة هي كلها

في علم الله سبحانه وتعالى ، وتخرج من علمه سبحانه . . إلى علم الانسان بكلمة « كن » . . ولكن الانسان كما وصفه الله سبحانه وتعالى ظلوم وجهول . . ظلوم لأنه مغرور يعتقد انه هو الذى حقق بنفسه وبذاته هذه الحضارات التى نعيشها . . وان كان فى الحقيقة لم يحقق شيئا الا باستخدام العقل المخلوق له من الله فى توجيه الطاقة المخلوقة له من الله . . فى المادة المخلوقة من الله ، ليكشف الله له ما شاء من قوايين الكون فيستخدمها فى ارتقاء حياته . . وارتقاء الحياة كما قلنا . . أن يحدث الشيء فى وقت أقل ويجهد أقل .

فى الماضى كنا نصعد السلم إلى الأدوار العليا ، وكانت هذه عملية شاقة ، فأصبح المصعد الآن يأخذنا إلى الدور الأخير فى وقت أقل ويجهد أقل .

كنا فى الماضى إذا أردنا الذهاب الى مكان . . نمشي اليه ، الآن أصبحنا ننتقل بالسيارة والطائرة وغيرها من وسائل النقل الحديث بجهد أقل وفى زمن أقل .

ولكن الانسان عندما رأى هذا التقدم العلمى عبد الدنيا . . وهو جهول فى ذلك قد بلغ المدى فى الجهل . . وهذا لسببين :

الأول أنه يمضى فى هذه الدنيا فترة ثم يفارقها ، والخالق لا يغادر مخلوقه .

والجهل الثانى أنه يفعل الشيء فى الخفاء ويكون حريصا على أن يخفيه عن عيون الناس فلا يراه أحد ، ويحسب أنه قد فعل

شيئا لا يكشفه أحد... ولكنه ينسى أن الله تبارك وتعالى يراه في كل ثانية ولا يخفى عليه شيء حتى ما في الصدور ولذلك ورد في الأثر عن الله جل جلاله :

« يا عبادي إن كنتم تطعونني أنى لا أراكم فالخلل في إيمانكم ، وإن كنتم تعرفون أنى أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين اليكم » .

هذه هي الحقيقة التي يعرفها الجميع وينسونها أو يتناسونها لتحقيق شهوة النفس والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

(الآية ٢ سورة الملك)

وحين يتحدث الحق تبارك وتعالى عن حكمة الخلق ، وإن الحياة مجال اختيار لنا لنحسن الطاعة ونحسن العبادة ونحسن الالتزام بمنهج الله .. ذكر الموت أولا قبل الحياة ، وذلك حتى يقتل غرور الدنيا في أنفسنا ، فكلما اغتر الإنسان ونسب ما في الكون لذاته ، ذكره الله سبحانه وتعالى بالموت ، ليعرف أن كل ما هو فيه من نعيم أو ملك له نهاية ، وأنه لا شيء يدوم ، وحين يتذكر الإنسان ذلك لا تغره الدنيا التي هو مفارقها يقينا ، ولكن الغرور البشري يصور للناس أنهم سيعيشون سنوات وسنوات .. حتى ذلك الذي بلغ من العمر أرذله .. يعتقد أن الوقت ما زال أمامه طويلا !! .

لا تغتر .. فالموت يأتي بغته

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الموت بلا أسباب ، إنه يمكن أن يفاجئنا في أى لحظة ، فليس معنى أن الإنسان يتمتع بصحة جيدة أنه سيعيش طويلاً ، وليس معنى أن الإنسان صغير في السن أن امامه عمراً طويلاً . فالموت يأتي للصغير ولل كبير وللصحيح وللمريض . وقد يموت إنسان ممتلئ صحة أو في سن صغيرة ، ويعيش إنسان مريض حتى يبلغ مبلغ الكهولة .

ولأن الله سبحانه وتعالى يحبنا ، فهو لا يريدنا أن نغتر بالحياة ، وأن نوقن باستدامتها ، بل علينا أن نتوقع النهاية في أى وقت ، وذلك حتى نسارع في الخيرات ونمتنع عن المعاصي ، لأنني لو علمت أنني سأموت في سن الخمسين أو الستين مثلاً .. فإنني قد ارتكبت المعاصي وأظلم الناس وأخذ المال الحرام ، حتى إذا وصلت الى ما قبل موعد الموت بعام أو عامين .. فإنني أتوب الى الله وأفعل الخير!! .

إن مثل هذا لو حدث في الواقع لامتلأ الكون بالمعاصي وقل منه الخير ، ولكن اذا علمت أن الحياة تتوقف في أية لحظة ، فإنني أسارع الى الخير ، ولذلك يصف الله عباده الصالحين الذين لهم منزلة عالية عنده وعلى رأسهم الأنبياء .. بقوله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾

(من الآية ٩٠ سورة الأنبياء)

والمسارعة في الخير مطلوبة .. لأن الانسان لا يضمن
عُده ، وهذه احدى حكم اخفاء موعد الموت .. كي نسارع
بالعودة الى منهج الله قبل أن يدهمنا الموت في أى لحظة من
ساعات الليل أو النهار .

واذا اردنا ان نجمل ما فصلنا في هذا الباب فإننا نقول : ان
هذا الكون كله مخلوق للانسان ، مسخر له بقدره الله وليس
بذاته ، وأن العلم الذى يكشفه الله لنا هو من قوانينه في
الأرض التى تعمل منذ بداية الخلق .. ولكنها كانت غيبا عنا ،
وأن الانسان لا يملك في هذا الكون حتى نفسه ، فالروح التى
تدخل الجسد لتعطيه الحياة واذا خرجت يموت هى من أمر
الله ، لم يطلع أحداً منا على سرها .. واذا كان الانسان
لا يملك حياته في هذا الكون .. فكيف يملك الكون نفسه ؟ .

إن الدنيا كلما اقتربت من نهايتها ، يشعر الانسان أنه قادر
عليها .. فيستخدم ما كشف الله له من علم في محاربة
الايمان !! بدلا من أن يستخدمه في الاعتراف بعظمة الله
وقدرته .

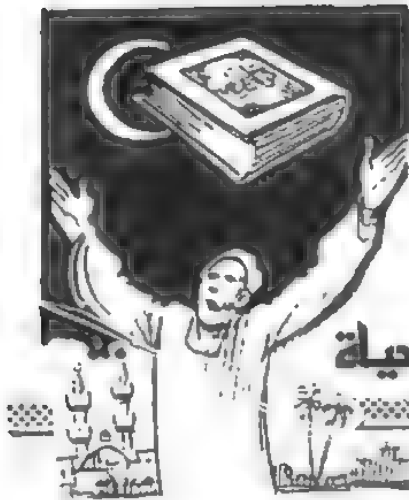
ولكن كيف يستقبل المؤمن ذلك العلم الذى يتقدم كل
عام ؟ ..

وما هو المنطق الايمانى الذى يتلقاه به ؟ ..

وكيف أن الانسان في نهاية الكون سيعتقد انه قادر على كون
الله ؟ ! .

هذا ما انفصله ان شاء الله في الفصل التالى ..

الفصل الثالث



الاستقبال الإيمانى للحياة

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نستقبل
الحياة استقبالا إيمانيا .. بحيث يُذَكِّرُنَا كل
تقدم يحدث في الكون بقدرة الله وعظمته
فتزداد يقينا .. ولكننا في الحقيقة نفعل
عكس ذلك . فكلما تقدم الزمن وثقنا في
قدرة الإنسان ، وبعدنا عن منهج الله .
ورغم أن الله تبارك وتعالى قد بين لنا أن كل أحداث هذا
الكون موجودة في علمه قبل الخلق ، فإن هناك من يدَّعون أن
الإنسان الذكي يستطيع أن يصنع قَدْرَهُ بنفسه ، وأنه كلما تقدم
العلم ليعطينا شيئا جديدا من قوانين الكون .. نحسب أننا
نحن الذين وضعنا هذه القوانين ، وأنها تعمل بأمر منا وليس
بقدرة من سخرها لنا ، وأنها قادرون على أن نجعل الأحداث
تفعل ما نشاء وتحقق لنا ما نريد بعلمنا ، ولكن الإنسان أعجز
من أن يفعل شيئا في الكون ، ذلك أن الكون لا يخرج عن
مراد الله الفعلي .. ولا شيء في كون الله يخرج عن أمره .

قد يقول بعض الناس .. وهل الذين كفروا ولم يؤمنوا بالله
أرادهم الله تبارك وتعالى كفارا ؟ ..

نقول لهؤلاء : إن الكفار خالفوا مراد الله (الشرعى) في
كونه ، ولكنهم لا يستطيعون أن يخالفوا أمر الله (الفعلي) في
كونه . إن في مقدورهم أن يخالفوا مراد الله الشرعى في الأمر
والنهي ، وذلك لأن الله خلقهم مختارين في أن يطيعوا أو أن
يعصوا ، ولولا أنه سبحانه وتعالى أعطاهم حرية هذا
الاختيار ، ما كان واحد منهم يستطيع المعصية ، فكل ما في
الكون مخلوق على القهر .. الا الإنس والجان فلهم حرية

الاختيار فى المنهج فى افعل أولا تفعل .

اننا نقول لهؤلاء الناس الذين يدعون أن لهم اختيارا فى كون الله ، واختيارا بلا حدود ، والقول موجه لكل واحد منهم : إذا كنت قد تأييت على طاعة الله فى منهجه ورفضتها ، فلا تحسب أن لك اختيارا كاملا فى الكون ، بل أنت خاضع لأقدار الله . . والإفعل لى هل فى استطاعتك أن تدفع عن نفسك المرض وتختار الصحة ؟ بالطبع لن تستطيع ، وإذا جاءك الموت فتمرد على قدر الله وقل لن أموت ، ولكنك لا تستطيع ، وإذا أصابتك مصيبة فى أهلك أو أولادك فامنعها . ولكنك لا تستطيع ، وإذا توقف قلبك فأعد اليه النبض مرة أخرى . . ولكنك لا تستطيع . . ذلك أنك مقهور فى أشياء ، مختار فى أشياء أخرى . . والاختيار جاءك بمشيئة الله ، فلا يفرك هذا الاختيار لتحسب نفسك أصيلا فى الكون !

لقد صنع الانسان - بعد أن كشف الله له بعض اسرار كونه - ما يطير به فى الجو ، وما يغوص به فى أعماق البحار ، وما يحمله الى سطح القمر ، وما يقرب له البعيد ، وظن أنه أصبح قادرا على كل شيء . . نقول لمن يدعى ذلك بغير علم إنك إذا كنت قادرا كما تدعى . . فقدرتك على الشيء تجعلك قادرا على أن تستبقه لنفسك ، ولكنك قد قدرت بأمر الله على أن تستفيد من قوانين الله فى الأرض ، ولكن لا تستطيع أن تجعل هذه القوانين وفق هواك . فما يحدث فى الكون خارج عن قدرة البشر جميعا . . والاما فاجأت الأحداث الناس ، وما كان من يملك لا يملك ، ولما وجد من كان يحكم شعبا أو دولة نفسه بين يوم وليلة طريدا مذعورا ، يهرب من مكان

الى مكان .. يختفى من الناس ليحاول استبقاء حياته ، ثم يعثرون عليه فتكون نهايته .

إن الله وحده الذى له الحكم والأمر هو الذى يمكن أن ينزع منه الحياة أو الحكم أو المال بين يوم وليلة .. أو بين لحظة وأخرى. ولو أنه جاء الى الحكم باختياره وقدراته ، لما استطاع أن ينزعه منه أحد .. ولكنه جاء بقدرات الله وبأسباب الله فى كونه .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن ينزعه منه ما وهبه إياه واستخلفه فيه فى أية لحظة .. وقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الآية ٢٦ سورة آل عمران)

إذن الملك لا يأتيك بأسبابك ، ولا ينزع منك بإرادتك .. ولكنها أقدار الله سبحانه وتعالى هى التى تعطيك الملك وهى التى تنزع منك الملك . فإذا احترمت قدر الله فيك .. أعطاك ما تشاء ، وإذا حاولت أن تتمرد .. أخذ منك ما أعطاك .

الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى :
(يا بن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك ويدنك ، وإن لم ترض بما قسمته لك ، فوعزى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش فى البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما) .

الله سبحانه وتعالى يهب من قوته قوة ، ومن غناه غنى ،
ومن قدرته قدرة . ولكن الإنسان يعتقد أنه هو الذى أخذ هذا
بذاته ، وأنه يستطيع أن يفعل وأن يغير وأن يبدل .

لقد استطاع البشر خلال ارتقاءات حياتهم المادية أن
يتوصلوا إلى أشياء وإلى اكتشافات ، ولكن كل الاكتشافات
العلمية لا تستطيع أن توجد من عدم ، وإنما هم يأخذون المادة
التي خلقها الله ويستخدمون العقل المخلوق من الله فيها
يفعلون .

وعلى سبيل المثال الذى يضع الكوب يستخدم المادة الموجودة
فى الأرض من الرمال الخاصة ، والطاقة التي خلقها الله فى
الكون لصناعة هذا الكوب ، ولكن هناك فرق بين ما يصنعه
البشر ، وما يتم بقدرة الله تبارك وتعالى .

وكل صناعات البشر لا يستطيع الإنسان أن يهب لها
الحياة ، ولا يجعلها تتكاثر بذاتها لتعطيك مثلها . فلا يستطيع
إنسان أن يصنع كوبا ذكرا وكوبا أنثى ثم يجعلها تتكاثر بذاتها ،
كما أنه لا يستطيع أن يعطيها خاصية النمو ، بحيث تنمو
الكوب الصغيرة وتصبح كوبا كبيرة . فصناعة المخلوق تبقى
على حالتها ولا تنتج مثلها ، ولكن صناعة الله سبحانه وتعالى
تختلف ، ذلك أنه خلق من غير موجود . . أى أنه ليست
الصناعة فقط من خلقه ، ولكن المادة أيضا من خلقه ، وليست
الصناعة على غرار شيء موجود ، ولكنها خلق من غير
موجود . . هذا هو الفارق بين صنع الخالق ، وصناعة
المخلوق .



الله أحسن الخالقين

إن صنعة الله خلق ينمو بذاته ، ويعطى مثله ليتكاثر ذاتيا ، والمخلوق لا يستطيع أن يفعل ذلك ، ومع ذلك ما ضمن الله على خلقه بأن يسميهم خالقين ، واحترم عمل عقولهم فيما أوجدوا ، ولكنه سبحانه وتعالى سمى نفسه أحسن الخالقين .. واقرأ قوله جل جلاله :

﴿فَبَارِكْ لِلَّهِ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

(من الآية ١٤ سورة المؤمنون)

إن الله سبحانه وتعالى خلق من لاشيء ، وأنت خلقت من شيء موجود . وهو سبحانه خلق ما يحس وينمو ، وأنت صنعت ما لا يحس ولا ينمو ، وهو جل جلاله خلق شيئا يتكاثر من مثله ، وأنت لا تستطيع ذلك .

إننا إذا أردنا الطعام مثلا ... نأق الأرض نحراثها ونزرعها ، ثم نحصد ونطحن ونخبز ونعد الطعام . إذن أنا أخذت من كون الله بالفكر الذى أعطاه لى ، والطاقة التى زودنى بها ، وكل هذه الأشياء موهوبة من الله ، وكل ما فعلته أننى استخدمت موجودا .. ولكن الأصل فى الوجود أنا لم آت به ، ذلك أن الخلق الأول من الله سبحانه وتعالى .

حبة القمح التى زرعناها وأنتجت لك المحصول من أين جئت بها ؟ .. من المحصول الذى قبله . ومن أين أتيت

بالمحصول الذى قبله ؟ .. من ذلك الذى زرع منذ عامين ..
وتظل تمضى فى تتبع حبة القمح التى فى يدك ، لتصل بها إلى
البداية .. وهى أنها من صنع الله الذى أتقن كل شيء .. من
الله سبحانه وتعالى .. وهل أوجدها الله جل جلاله من
محصول سبق ؟ .. لا وإنما أوجدها من عدم .

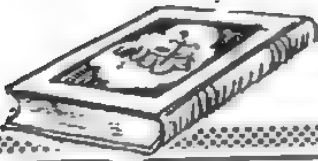
وكذلك كل ما فى الكون .. الایجاد الأول من الله . والله
سبحانه وتعالى هدى الإنسان إلى أن يعرف خصائص هذا
الوجود الأول ، ليأخذها وتعطيه وجوداً ثانياً وثالثاً ورابعاً
وهكذا ، ثم بعد ذلك تدور دورة الحياة مرات ومرات ..
واقراً قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الأنبياء)

وهكذا نصل يقيناً إلى ان أصل كل شيء فى الدنيا من الله
سبحانه وتعالى . إنهم يتحدثون الآن عن الصفات الوراثية ،
وما يمكن أن تؤدى إلى تحسين أنواع النبات وغير ذلك .

ونحن نقول لهم : هل هذه الصفات الوراثية* أنتم
أوجدتموها ، أم هى من خلق الله سبحانه وتعالى ؟ .. إذن
فأنتم تأخذون من موجود ، ولكن إذا أردتم أن تنسبوا
لأنفسكم هذا الخلق .. فأوجدوا أنتم صفات وراثية من
عدم ، فإن لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فاحترموا خلق الله فى
كونه ، وانسبوا كل شيء إلى الله .. لا إلى ذاتكم .



هنا خلق الله

الانسان حين يرى المدنية والتقدم .. فإن عليه أن يفكر تفكيراً إيمانياً فيما وصل اليه ، من مدنية وتقدم ، وأن يرى بعين بصيرته تسخير الله لهذه الموجودات ..

لقد كنت مرة في زيارة لمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية وأرادوا أن يبهروني بما استطاع أن يحققه العلم ، فأخذوني إلى أضخم الفنادق التي يدار فيها كل شيء بالأزرار ، والتي تتم فيها الخدمة بطريقة آلية .. بحيث تحصل على ما تريد وأنت جالس في غرفتك . تضغط على زر فيأتيك فنجان القهوة الذي تريده . وتضغط على زر فيأتيك فنجان الشاي أو الطعام الذي تريده . وقالوا ما رأيك ؟ .. قلت اذا كان هذا ما استطاع البشر بقدرات البشر أن يصنعه .. فكيف ستكون الجنة التي هي مخلوقة بقدرات الله سبحانه وتعالى .. لا بد أن فيها من النعيم أضعاف أضعاف ما يمكن أن يقدمه البشر مهما ارتقوا بالأسباب .

ثم ان هذا الذي يتم سبقه إعداد بشري اشترك فيه عدد كبير من الناس ، فهناك من طحن البن ، ومن أعد الماء الساخن ، ومن وضع السكر . وهناك من يراقبه حتى لا ينفد . فإذا شعر أن الموجود قليل وضع كميات جديدة . اذن فكل نعيم يصنع بالقدرات البشرية وليس كما نراه يحدث في دقيقة بالضغط على الزر ، ولكن وراء إعداد طويل اشترك فيه عدد كبير من الناس .

فليست المسألة - إذن - في أن تضغط على زر فتعطيك الآلة ما تريده . . هذا هو ظاهر العملية . ولكن البشر مهما ارتقوا في العلم ، هل يستطيع هذا العلم أن يمدك بما تريده بمجرد أن يخطر الشيء على بالك فتجده أمامك ؟ هذا مستحيل وغير متصور على الإطلاق . ولكن في الجنة وبقدرات الله سبحانه وتعالى . . بمجرد أن يخطر الشيء على بالك تجده أمامك . ولا تجده أمامك بالامكانيات البشرية ، ولكن بقدرات الله تبارك وتعالى . . ذلك هو المنطق الايماني . . الذي يجب أن نأخذ به كل تقدم علمي .

فإذا قيل لنا مثلاً إننا نستطيع أن نستقل الطائرة ، خلال أقل من ساعة نصل الى آخر الكرة الأرضية . وهذا ما لم يحدث حتى الآن . . ولكن لو أنه حدث فيجب أن نستقبله بكلمة « سبحان الله » . . ونقول إن هذا تم بقدرات وأسباب البشر . . فما الذي سيحدث لنا بقدرات الله تبارك وتعالى ؟

إن كل هذا التقدم العلمي . . هو كشف لقوانين الله في الأرض . . هو أخذ بالأسباب ، ولكن أى نعيم ذلك الذي سنلقاه اذا انتقلنا من قانون السبب الى قدرة المسبب ؟ . .

أن هذا الارتقاء البشرى إنما يقرب الى أذهاننا القدرات التي وضعها الله في كونه لنعرف عظمة الخالق ، وندرك أن ما سنلقاه في الآخرة سيكون نعيماً لا يوصف ، فلا تبعدنا هذه الأشياء عن الايمان . . ولكن يجب ان تقربنا منه . . ولا تغرنا هذه الأشياء بأنفسنا وعقولنا ، ولكن تزيدنا خضوعاً لله سبحانه وتعالى لكننا - وللأسف الشديد - لا نتلقى العلم بهذا

المفهوم الايماني ، بل نتلقاه بأن الانسان قد أوجد في الكون ما يفوق كل القدرات !!

حين وصل الانسان الى القمر ماذا قال الناس في تفسير الآية الكريمة التي تقول :

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعَتْ أَنْ نَنْفُذُوا مِنْ
أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا
لَا نَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

(الآية ٣٣ سورة الرحمن)

بعضهم قال إن الإنسان قد نفذ من أقطار السموات والأرض رغم أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض . . بعض العلماء أراد أن يسهلوا المسألة على الله تبارك وتعالى (!!) وقالوا إن المقصود بهذه الآية (سلطان العلم) ونقول لهم : إن المقصود هنا هو سلطان الله سبحانه وتعالى ، فلا تسهلوا المسألة ولا تهونوا من قدرات الله جل جلاله .

إن القمر الذي وصلوا اليه هو ضاحية من ضواحي الأرض ، وهو أقرب الكواكب اليها ، وأين القمر من أقطار السموات والأرض ؟ . . إنه كوكب من كواكب السماء الدنيا التي تعلوها سبع سموات ، كل سماء تحتل مساحة هائلة لا يدركها إلا خالقها والله تبارك وتعالى يقول :

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾

(الآية ٦ سورة الصافات)

فَكَيْفَ نَأْتِيهِ وَنَحْنُ عَلَى الْأَرْضِ . . . هُوَ بَعْضُ مَا فِي السَّمَاءِ
الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ هُنَاكَ كَوَاكِبٌ تَبْعُدُ عَنَّا مِلْيُونِ سَنَةٍ ضَوْئِيَّةٍ . .
أَيُّ لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ سَافِرٍ بِسُرْعَةِ الضَّوئيةِ ، وَهُيَ سُرْعَةُ هَائِلَةَ ،
وَكُلِّ الطَّاقَةِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى الْأَرْضِ لَوَجِّعَتْ فَأَنَّهُ تَعَجَّزَ عَنْ دَفْعِ
بَشَرٍ وَاحِدٍ إِلَى الْفَضَاءِ بِسُرْعَةِ الضَّوئيةِ ، فَضِلَّا عَنْ أَنَّ الْجَسَدَ
الْبَشَرِيَّ لَا يَتَحَمَّلُ هَذِهِ السَّرْعَةَ . .

نَقُولُ أَنَّهُ لَوْ فَضَّلْنَا أَنَّ إِنْسَانًا سَافِرٍ بِسُرْعَةِ الضَّوئيةِ ، فَهُوَ
يَحْتَاجُ إِلَى مِلْيُونِ سَنَةٍ لِكَيْ يَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْكَوَاكِبِ . . هَذَا
مَا عَرَفْنَاهُ .

وَلَكِنْ هُنَاكَ كَوَاكِبٌ وَعَوَالِمٌ وَشُمُوسٌ لَا نَعْرِفُ عَنْهَا شَيْئًا . .
فَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ الْبَشَرِيُّ قَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ بِوَاسِطَةِ إِطْلَاقِ
التَّلِيسْكُوبَاتِ فِي الْفَضَاءِ إِلَى هَذَا الْبَعْدِ الْمَوْجُودِ فِي السَّمَاءِ . . فَمَا
هُوَ الْحَجْمُ الْحَقِيقِيُّ لِأَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ . .

وَأَيْنَ هَذَا الْبَعْدُ مِنْ قَرَبِ الْقَمَرِ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ . طَبْعًا
بَعْدَ الْقَمَرِ يَسَاوِي لَأَشْيَاءَ بِالنِّسْبَةِ لِحَجْمِ السَّمَوَاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ
لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَدَاهَا . . إِلَّا بِسُلْطَانِ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى .

وَلَكِنْ لِمَاذَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « الْإِسْلَامُ » . . وَلَمْ يَقِفْ
الْآيَةُ عِنْدَ قَوْلِهِ : « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفِذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفِذُوا » ؟ . .

وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَوْ تَوَقَّفَتْ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عِنْدَ اسْتِحَالَةِ نَفَازِ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . لَكَانَ ذَلِكَ يُلْقَى

الشك على معجزة المعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
فرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده دون كل خلق الله من
الملائكة والجن والإنس وغيرهم تجاوز سدرة المنتهى . . وهى
المكان الذى ينتهى فيه علم كل خلق الله حتى الملائكة
المقرين . . ولو بالوحى .

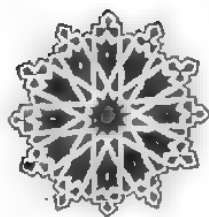
ان قول الحق سبحانه وتعالى : « لا تنفذون
الابسلطان » . . أكد مصداقية معجزة المعراج ، لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصل إلى سدرة المنتهى وتجاوزها
بسلطان الله جل جلاله . . ذلك أن جبريل كان يتقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى رحلة المعراج وهو يصعد
السموات سماء بعد أخرى . . إلى أن وصل إلى سدرة
المنتهى . . فتوقف جبريل وطلب من رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يتقدم . . وقال جبريل لرسولنا عليه الصلاة
والسلام : لو تقدمت لاحتقرت ، ولو تقدمت أنت يا محمد
لاخترت . . وكل هذا حدث بسلطان الله تبارك وتعالى
وقدرته وحده . . ذلك أن تكوين جسد رسول الله عليه
الصلاة والسلام كان يتغير كلما صعد من سماء إلى أخرى ،
ليتحمل ذلك النور الألهى فى السموات .

اننا نقول لهؤلاء الذين يقولون ان المقصود فى الآية هو
سلطان العلم . . أين سلطان العلم من قدرة الله سبحانه
وتعالى ؟ . . وإذا كان الله جل جلاله يقول فى محكم آياته

﴿ وَمَا أَوْثَقَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الاسراء)

فهل هذا العلم القليل هو السلطان الذى سينفذ به الانسان
من أقطار السموات والأرض ؟ .. طبعا لا .. ولذلك كل من
قال إنه سلطان العلم متجاوز فى التفسير ، ولكنه سلطان الله
تبارك وتعالى الذى صعد به نبينا صلى الله عليه وسلم إلى سدره
المتهى وتجاوزها .





الإيمان .. والتقدم العلمى

وأقول لمن يغترون بالعلم البشرى .. أن قليل العلم الذى أعطاه الله للإنسان هو الذى صنع كل هذه الحضارات والتقدم العلمى المذهل الذى نراه والذى ستره الأجيال القادمة من بعدنا إلى يوم القيامة . فإذا كان قليل العلم هو الذى صنع هذا كله ، فماذا يمكن أن يصنع لنا علم الله فى الآخره ؟

إذن فالتقدم العلمى كان يجب أن يزيدنا إيماناً بالله وخشوعاً له سبحانه ونحن نعيش فى عالم الأسباب ، وهذا العالم تتفاوت فيه قدرات الناس فى الاقبال على أسباب الله ..

إن يد الله ممدودة بالأسباب لكل خلقه ، والذى يأخذ الأسباب بجدية يقوى على غيره ، فقطعة الأرض التى يعنى بها الإنسان ويحراثها جيداً ويتقن لها البذرة الصالحة .. تعطيه محصولاً جيداً ، وذلك الذى يترك الأرض بلا حرث ولا زراعة لا تعطيه شيئاً ، وهذا عطاء ربوبية .

لقد خلق الله فى هذا الكون أشياء تنفعل « لك » ، وأشياء تنفعل « بك » .. الأشياء التى تنفعل لك تعطيك بلا مقابل ، وبلا جهد ، وبلا عمل منك .. عطاء لا عمل لك فيه . فالشمس والقمر والنجوم والغلاف الجوى كلها تعطيك دون أن تحتاج منك إلى جهد أو عمل من أى نوع كان .. وعطاؤها متساو للجميع .. لا تعطى واحداً أكثر من الآخر ، ولا تخص شعباً أو مجموعة من الناس بعطاء تحجبه عن الآخرين . هذه

هى الاشياء التى تنفعل لك .

أما الأشياء التى تنفعل بك .. فهى كل ما على الأرض .
إذا حرثت وبذرت تعطيك الأرض الثمر ، وإذا لم تحرث ، ولم
تبذر لا تعطيك شيئا . إذا بحثت فى باطن الأرض تجد البترول
والمعادن وغير ذلك مما هو فى باطن الأرض ، وإذا لم تبحث
لا تعطيك الأرض من كنوزها شيئا .

ان الرقى فى الحياة الدنيا والتفاوت بين الدول المختلفة إنما
يأتى من الأشياء التى تنفعل بك . فمن عمل بجِد واجتهاد
يرتقى فى الأسباب ويتقدم بين الأمم ، ومن لا يعمل لا يأخذ
شيئا .

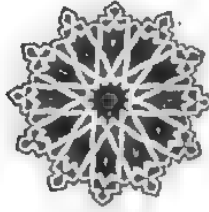
لقد كان الأجلر بنا - كأمة مؤمنة - أننا كما نرتقى فى عطاء
الالهية ، نأخذ بالأسباب فى الأرض لنرتقى فى عطاء
الربوبية ، ولكننا لم نفعل ، وتركنا غيرنا يرتقى بالأسباب ونحن
لا نفعل شيئا !! .

الأمم التى أخذت بالأسباب .. أعطاهما الله سبحانه وتعالى
حرث الدنيا ولو كانت كافرة ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ
يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ ﴾

(الآية ٢٠ سورة النورى)

إن عطاء الدنيا هو عطاء ربوية لا بد أن نأخذ فيه
بالأسباب .. الله سبحانه وتعالى أعطانا في بداية الخلق
وبلا أسباب مقومات ضروريات الحياة واستمرارها .. فمنذ
عهد آدم والماء والهواء والطعام وهي ضروريات الحياة مكفولة
للإنسان ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى استدعاه للوجود ،
فكان لا بد أن يضمن له مقومات حياته .. لذلك أوجد
سبحانه الماء الذى يشرب منه ، والثمار التى يأكلها لتحفظ
حياته .. والهواء الذى يتنفسه ، والأرض التى يسكنها .. كل
هذا من ضروريات الحياة وجده الانسان من أول الخلق على
الأرض دون أن يبذل جهدا فيه . فإذا أردت أن أترف حياتى
وأرتقى بها ، فلا بد أن أعمل عقلى المخلوق من الله فى الكون
المخلوق والمسخر لى من الله .. وبذلك أصل الى حياة
الرفاهية التى كما قلنا يتم فيها الشئ فى زمن أقل وبمجهود
أقل .





آيات الله .. وارتقاء الكون

لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى ضروريات الحياة ، وأعطانا العقل والأسباب التي تعطينا ترف الحياة ، ثم طلب منا أن نتدبر في آيات الكون ، وألا نمر على هذه الآيات ونحن غافلون عنها .. لذلك فإن التقدم الذي حدث كله .. حدث من علماء تدبروا في آيات الكون ، واستطاعوا أن يصلوا إلى قوانين الله في كونه .. وأن يستخدموها في التقدم بحياتهم .. هذا هو العلم .. الأخذ بآيات الله في الارض .

ولكن هل خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعيش في كون الأسباب فقط ؟ .. لا .. إن هذه مرحلة من رحلة الحياة الطويلة ، وفي المرحلة التي نعيشها في كون الأسباب لابد أن نتعب حتى نستريح ، فالذين قدموا كل الاختراعات للبشرية تعبوا حتى وصلوا اليها .. ربما سهروا ليالى طويلة بلا نوم .. واجتهدوا حتى وصلوا إلى ما يريدونه .. هذا هو قانون الدنيا ، فلا بد لكى تنجح أن تذاكر .. ولا بد لكى تحصل على مرتب أن تعمل .. وهكذا

ان الله تبارك وتعالى يريد أن ينبهنا إلى ان هناك عطاء آخر غير عطاء الربوبية وهو عطاء الألوهية ، ولكى تستحق عطاء الألوهية لابد أن تَجِدُ وتعمل من الصالحات في الدنيا ، وأن تلتزم بمنهج الله حتى تستريح في نعيم الله في الآخرة .

وأنت مهما تعبت في الدين ومهما تنعمت ، فإن مصيرك إما أن تفوتها بالموت ، وإما أن تفوتك هي بقلة عطائها لك . . ولكن الله سبحانه وتعالى في الآخرة يجعل النعيم خالدا إذا أنت تعبت في العمل بمنهجه في الدنيا .

وبإيجاز نقول : إن المنهج الإيماني كان يقتضى أنه كلما زاد الإنسان رقيا في العلم . . إزداد إيمانا وخشوعا لله سبحانه وتعالى . . وأنا يجب أن ننسب كل شيء في الكون إلى خالقه وموجده وهو الله سبحانه وتعالى . . ونعرف أنه ما كان من الممكن أن نتقدم ، أو نزداد ترفا في الكون ، إلا لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع في كونه من الأسرار والقوانين ما يمكننا من ذلك ، ولكننا بدلا من أن ننسب الشيء لفاعله ، نسبناه لأنفسنا ، واعتقدنا أننا حققنا ذلك بذاتيتنا . . وبعلمنا وحسبنا أننا نسيطر على الأشياء بعقولنا ويقوانيننا . . وليس بتسخير الله لهذه الأشياء لنا .

وكانت هذه هي بداية البعد عن منهج الله . . والايمان بمنهاج البشر . . لأن الإنسان اغتر بعقله وقدرته .

الفصل الرابع



المألف ينتهي

الانسان يعيش في الدنيا وقد ألف أشياء
تعود على رؤيتها ومعاشتها حتى صارت
جزءا من حياته لاتلفت انتباهه ، وهو
مانسميه الثابت وغير المتغير في الحياة
الدنيا .. إنه ألف أن تشرق الشمس كل
يوم وأن تغرب ، وألف الليل والنهار ،
وألف البحار بقوانينها ، والأرض بمظهرها الثابت غير
المتغير .. ألف كل عطاء الأشياء الثابتة في هذا الكون .
ولذلك هو لا يفكر فيها .. إنه يأخذها وكأنها حق مكتسب ،
لا يتأمل في خلقها ولا في نظامها ، وقد لا يتساءل عن القوة
والقدرة التي خلقتها والتي تحفظها وتبقيها تعمل بهذا النظام
الدقيق .. ولذلك فإن هناك عددا كبيرا من الناس لا يفكرون
في تلك العطاءات الثابتة في الكون .. بل يأخذونها كأشياء
تعمل بذاتها ، وتعطيهم من نفسها !!

إن من العجب حقا أن الناس تزداد علما كلما تقدم الزمن ،
ولكنها - في نفس الوقت - تقل عملا بمنهج الله ! نحن كل يوم
نزداد علما بقوانين الله وآياته في كونه ، وكان من المفروض أن
ذلك العلم يقربنا الى الله سبحانه وتعالى ، لأنه يكشف لنا من
أسرار قدرة الله في كونه ، ولكن زيادة العلم تزيد من شهواتنا
بالنسبة للحياة الدنيا وتمسكنا بها .. ونظراتنا المادية اليها ،
فكلما تقدم الوقت .. سيطرت الشهوات على النفس
البشرية ، فكل يوم يمر يعطينا زيادة في العلم ونقصا في العمل
بمنهج الله .

وذلك مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾

(الأنعام ٦ ، ٧ سورة العلق)

أى أن الطغيان البشرى يأتينا حينها نظن أننا قد استغنينا عن الله سبحانه وتعالى ولم نعد في حاجة إلى العبادة . فالعلم ظاهرا يحقق لنا ما نريد . إذا أردنا السفر وجدنا طرقا مريحة سهلة وسريعة في طائرات مكيفة الهواء ، لا يحس الانسان فيها بتعب ، وإذا أردنا الطعام والشراب وجدناه معدا لنا بطريقة حديثة وفي اكياس نظيفة ، وتستطيع وانت جالس في بيتك ان تستخدم التليفون فيأيتك كل ما تريد ، وإذا أصبنا بمرض وجدنا أحدث الأجهزة العلمية التي تصور لنا كل ما هو داخل أجسامنا وكنا نجهله ، وتبين لنا أين المرض وما هو نوعه ؟ وماهى طريقة علاجه ؟ إن الأجهزة الحديثة تصور لنا مقاطع من كل ما في جسد الانسان .. مقاطع المخ تبين لنا مكان الجلطة او الاصابة ، مقاطع من الكبد تحدد لنا أين المرض وماهى درجته .. وماهى وسيلة علاجه ..

ولقد تقدمت محاليل الدم .. لتعطينا صورة دقيقة لكل مكونات الدم .. حتى أصبح الناس يعتقدون ان الطبيب هو الذى يشفى !! بينما الطبيب يعالج فقط ، والله هو الذى يشفى ..

وقد يكون العلاج خطأ فيكون من أسباب إنتهاء الأجل .. وقد يأتي الشفاء على يد طبيب شاب حديث التخرج ، بينما فشل أساتذته الذين علموه في معرفة أسباب الشفاء ..

وليس معنى ذلك أن الطبيب الشاب يعرف أكثر من أساتذته الذين أخذ العلم عنهم ؟ ولكن معناه ان لكل شفاء موعدا حددته الله سبحانه وتعالى . فإذا جاء موعد الشفاء ، كشف الله لهذا الطبيب الناشئ . . عن سر الداء فعالجه ، بينما فشل أساتذته في الوصول الى العلاج ، ولكن الناس لا تلتفت الى هذا بل ينسبون الشفاء الى عبقرية الطبيب !

وهكذا يقل تذكر الناس للقدرة الالهية ، ويزيد اعتمادهم على القدرة البشرية وما تستطيع ان تحققه ظاهرا ، فيلتفتون الى اسباب البشر وينسون المسبب !! ويعبدون النعمة وينسون المنعم !! فاذا احضر احدهم نوعا من الفاكهة الممتازة يقول هذا من انتاج مزارع فلان !! وينسى ان المعطى وخالق هذا هو الله سبحانه وتعالى . .

ان قليلا منا - للأسف - هم الذين إذا بدأوا في تناول الطعام بدأوه بسم الله الذي أعطى وخلق ووهب . . واذا اشبعوا فان الكثيرين منهم نادرا ما يقولون الحمد لله الذي رزقهم بهذه النعم . . بل ان الانسان يعبد عقله ، فيعتقد ان ما حققه في الحياة من نعم . . هو من ناتج هذا العقل لأنه ذكى ، ولأنه مفكر وعبقرى ، ويتباهى بذلك أمام الناس ، ويعتقد ان النعمة لاتزول عنه لأنه يحسن التصرف ويحتاط لكل شيء ، تماما مثل صاحب الجنتين الذي نسب النعمة لنفسه . . وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

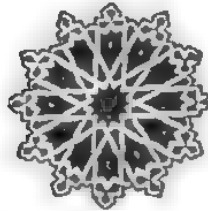
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يُبَيِّدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ

إِلَىٰ رَبِّي لِأَجَدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

(الآيتان ٣٥ و ٣٦ سورة الكهف)

فكان صاحب الجنتين قد نسب النعمة لنفسه ، وقال إنه
بأسبابه البشرية قادر على أن يحفظ النعمة ويبقيها ، وأنها
لا تزول عنه ابدا !

ونحن حين نرى شيئا جميلا لا بد أن نمتدح الصانع ، ولكنا
في هذه الأيام نمتدح البشر فنقول إن فلانا جعل من أرضه
جنة !! وإن فلانا قد فعل كذا وكذا ، وإن فلانا قد اخترع كذا
وكذا ، ولانقول بعون الله ولا بتوفيق الله .. ولانذكر الله
تبارك وتعالى الذى هو المعطى وهو المانع !!



اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع

وما دما نعتمد على اشياء تعطينا الراحة وتحقق لنا النعيم ،
نحسب أننا قد استغنينا بعملنا عن قدرة الله ، ويؤمن الانسان
بنفسه ، حتى أنه يشرع لنفسه بما يتناقض مع منهج الله ،
ولا يكتفى بهذا ، وإنما يصف المنهج السامى بأن فيه قسوة !!
ويقترى بأن فيه تخلفا أو أنه لايساير العصر !! والحقيقة ان
الذى يتخلف هو الذى يتعد عن منهج الله .

وسر ارتكان الانسان الى الحياة المادية واعتماده عليها إنما
حدث لأن هذه المادية لاتقيدنا بسلوك معين يمنع شهواتنا ،
بينما منهج الله يقيد سلوكنا فى الحياة بما يحقق لنا الحياة
الكريمة ، ولكننا لانلتفت الى ذلك ..

ليس معنى أن الله سبحانه وتعالى عندما قال لى لاتسرق قد
قيد حريتى فى ان امد يدى إلى مال غيرى .. هذه نظرة ضيقة
ولكنه فى الحقيقة قد قيد المجتمع كله فى ان يمد يده الى مالى ..
فحمان - وأنا الفرد الضعيف - من مجتمع يمكن أن يجردنى من
كل شيء .

وحين يطلب منى سبحانه وتعالى . ألا اعتدى على عرض
غيرى ، يكون قيد حريتى فى أننى إذا أعجبت بامرأة
متزوجة من غيرى أن أغريها واعتدى عليها ، ولكننا لاننظر إلى
أن الله سبحانه وتعالى قد منع الألوف من الأزواج والشباب فى
أن يعتدوا على عرضى ليصبح مباحا للجميع .

هذا ما يفعله منهج الله .. أنه يحميني ، ويحمي مالى وعرضي وأولادى .. ولكن نظرت الضيقة وشهوق العاجلة .. تنسينى ماحماني الله منه ، ولهذا كلما تقدمت الحضارة المادية .. انحدرت الأخلاق وتدهورت ، وأصبح ما هو حرام مباحا فى عرف المجتمع وليس بقوانين الله .

ان الانسان حين يظن انه قد استغنى بعلمه او بجاهه او بماله او بقوته ، او بأشياء مما أفاء الله به عليه .. يأتى الله جل جلاله ليخرجه من هذا الظن الى الحقيقة ، ويحدث ذلك إما بالموت ، وإما بقيام الساعة وتدمير كل ما هو مألوف للانسان فى الدنيا يعتقد أنه حققه بذاته ، ليقول له الله سبحانه وتعالى .. مادمت قد حققته بذاتك فاحتفظ به ان استطعت الى ذلك سبيلا ..

ان الحقيقة الأولى فى الحياة هى الموت ، والموت يقف أمامه كل ما فى الدنيا عاجز خاشع ذليل ، فأشهر الاطباء الذين اعتقد الانسان انهم يحفظون عليه صحته ، وأنهم يستبقون الحياة فى جسده ، يقفون عاجزين خاشعين أمام الموت لا يملكون حيلة ولا يستطيعون سبيلا ..

كذلك النعمة التى اعتقد الانسان انها تستطيع ان تحقق له ما يشاء وما يريد ، وانه بقوته وسلطانه يستطيع ان يفعل ما يشاء .. تقف هى الأخرى عاجزة عن أن تعطيه من القدرة والقوة ما يبقى الحياة فى جسده . وفى ساعة الاحتضار يرى الانسان كل ما غاب عنه وكل ما أخبره الله به وطلب منه ان يؤمن به يراه أمام شاهدها .. انها اللحظة التى تحمد فيها

البشرية .. ويصبح الانسان الذى كان يعتقد أنه القادر العزيز
القوى .. ذليلاً خاشعاً لا يقدر على شيء ! ..

ويخرج الروح يخرج الانسان عن كل مألوف الحياة الى
عالم آخر لا إلف له به ، والموت ليس نهاية كما يعتقد كثير من
الناس .. ولكنه انتقال من حياة الى حياة .. من حياة دنيوية
لها قوانينها .. الى حياة برزخية لها قوانين أخرى .. ويرى مالم
يكن يراه .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة ق)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه
الشريف :

(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)

كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ان الناس
نيام فإذا ماتوا انتبهوا ؟ ! » كيف يقول الرسول صلى الله عليه
وسلم .. « إن الناس نيام » بينما هم فى حياة اليقظة التى
يعيشون فيها ؟ « فإذا ماتوا انتبهوا » .. وكيف يكون
الانسان وهو مستيقظ وحى يملأ الأرض حركة نائماً ؟ .. فإذا
مات ورقد فى قبره يكون مستبهاً ؟ ..

نقول ان الناس فى الحياة الدنيا تشغلهم شهواتهم وأموالهم
وما يريدون تحقيقه فيها .. يشغلهم كل هذا عن حقيقة الحياة
الدنيا ، فلا يتدبرون فى آيات الله .. ويسوق الله سبحانه
وتعالى لهم الدليل بعد الدليل .. ليجعلهم يؤمنون ولكنهم

يغرضون ، فكأنهم نيام عن حقيقة ما حولهم ، فإذا ماتوا رأوا كل شيء عما وعدهم الله به واضحا جليا لا لبس فيه ، فتكون هذه لحظة الانتباه إلى الله ومنهجه وحقيقة هذا الكون .

إن الانسان النائم يسير على غير هدى لأنه مغمض العينين . . فإذا أبصر رأى وعرف . إذن اول ما يخرج الانسان عما ألفه في الدنيا هو الموت ، والانسان عندما يحتضر يرى مصيره إما الى الجنة وإما الى النار . . انه ساعة الاحتضار يعرف يقينا أنه سيموت لما يراه في هذه الساعة . . والناس تعتقد أن الاحتضار بالنسبة لكل إنسان مساو للآخر ، فكل إنسان يحتضر ويموت ، ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى اخبرنا انه ساعة الاحتضار يودع الحياة الدنيا ولا يخرج كل منا بنفس الطريقة ، بل من هنا يبدأ الاختلاف « وقرأ قول الله جل جلاله :

﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(الآية ٣٢ سورة النحل)

إذن فالانسان الصالح المؤمن حين يحتضر يرى الملائكة ، والانسان الكافر غير المؤمن يرى أيضا ساعة احتضاره الملائكة ، ولكن الصورة مختلفة تماما . .

فالانسان الطيب المؤمن يرى ملائكة الرحمة يدخلون عليه مبشرين بالجنة ، ويقرأون عليه السلام . . وتكون وجوههم مستبشرة ، وحيثذ يفرح الانسان المؤمن . . لأنه سيقتل الى حياة طيبة أحسن مما كان فيه في الدنيا ، ويكون وجهه مستبشرا

وأساريه منفرجة وهو يرى أن دار الاختبار قد انتهت ، وانه سينقل الى دار النعيم يتمتع فيها بقدرات الله تبارك وتعالى ، يتהלل وجهه ، وحين تنظر اليه وهو يحتضر تعرف انه يحس بأنه منتقل الى مكان أعلى من الذى عاش فيه ، وان وعد الله له بحسن العاقبة قد تحقق بالفعل .

والكافر يرى الملائكة ايضا وهو يحتضر .. وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى يصف هذا اللقاء المشؤم :

﴿ وَلَوْ رَأَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

«الانباء ٥٠ و ٥١ سورة الانفال»

وهكذا نرى الفارق الهائل بين الانسان المؤمن ، والانسان الكافر ساعة الاحتضار . الملائكة تقول للانسان الكافر .. هأنذا ترى ما كنت تكذب به فى الحياة الدنيا ، وترى العذاب الذى ينتظرك .. فإن كان لك قوة أو قدرة ، فاخرج نفسك من هذا .. إهرب إن كنت تستطيع ولكنك لاتستطيع .

غررتك قدرتك فى الدنيا فبغيث وظلمت وعصيت ، وقلت على الله غير الحق .. واستكبرت فى الأرض .. والآن أنتهى كل ما ألفته فى حياتك الدنيوية .. فأهلتك التى كنت تعبدها من دون الله هربت واختفت لأنها زيف .. واصدقاؤك الذين كانوا يعينونك على الباطل وعلى المعصية لايملكون لك ولا حتى لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، وكل من نصرك فى الدنيا بغير حق .. أصبح الآن عاجزا عن أن يحميك ..

العرض على النار .. كيف؟

ويحدثنا القرآن الكريم .. انه في ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وايداء من الملائكة للكافر ، الذي طعم خير الله ومنع شكره ..

والمعروف ان العذاب لا يكون إلا مع وجود الحياة ، فانت لاتستطيع ان تعذب جسدا ميتا ، ولكن لكى يحس الجسد بالعذاب .. لابد أن تكون فيه روح ، ولذلك فإن ما يحدث من الملائكة من ضرب وايداء ، إنما يحدث ساعة الاحتضار وفي الجسد حياة .. ولذلك تجد الكافر عند موته وجهه مكفهر ، وعضلاته وجهه منقبضة ، وهو يرى المصير الاسود الذى ينتظره .

اذن فساعة الاحتضار .. يفرق فيها بين المؤمن والكافر ، وذلك بخلاف الحياة الدنيا .. ففي الدنيا قد يكون للكافر من الجاه والعز والسلطان والعلو والشرف ما ليس للمؤمن ، ولكن ساعة الاحتضار تبدأ التفرقة وينتهى كل ما الفناه في الحياة الدنيا حيث يرى الكافر الملائكة وقد جاءوا بمقدمات العذاب وانهالوا ضربا عليه ، ويرى المؤمن الملائكة وقد جاءوا بمقدمات النعيم وبشرى الجنة .. بل إن هناك تحديا من الملائكة .. للكافر ساعة احتضاره .. واقرا أقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا

أَيُّدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

١ من الآية ٩٣ سورة الانعام

الملائكة يقولون لكل ظالم أو كافر يحضر . . إن كانت لك قوة الآن كما كنت تدعى في الحياة الدنيا فاخرج نفسك مما أنت فيه . . خلص نفسك إذا كانت لك قوة أو نفوذ ، ولكنك لا تستطيع . . لقد كنت في الحياة الدنيا تدعى أن لك قدرة وقوة . . ولكنك الآن عرفت الحقيقة ، وعلمت أن القوة لله جميعا ، وأن كل ما عندك من الطاقة أو القوة أو السلطان كان من الله . . أما ذاتك فلم تكن تملك شيئا . لقد صورت لك نفسك أنك تستطيع وتستطيع وانك قادر ، ولكنك الآن في لحظة الصدق التي ليس فيها ظن ولا شك ولكن فيها يقين .

وعندما ينتقل الإنسان الى حياة البرزج . . وهي نوع من الحياة يعيشها الإنسان بين الموت والبعث ، فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالقليل عن قوانين هذه الحياة . . ولكنها نوع من الوجود .

الإنسان يسمع وهو ميت ولكنه لا يستطيع أن يرد . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب قتلى غزوة بدر من الكفار فناداهم ، فقال يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإن قد وجدت ما وعدني ربي حقا . فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال
والذى نفسى بيده ما اهتم بأسمع لما اقول منهم ، ولكنهم
لا يقدرّون ان يجيبوا) .

والله سبحانه وتعالى قد أنبأنا فى القرآن الكريم . . ببعض
ما يحدث للموتى فى قبورهم . . فقال جل جلاله . .

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

« الآية ٤٦ سورة غافر »

ومعنى ذلك أن هناك حياة فى البرزخ . . وأن هذا النوع من
الحياة فيه تعقل للإنسان يجعله يميز بين الأشياء ، وإلا لَو كان
القبر سكونا وغيبة تامة عن الوجود ، ما كان يمكن أن يعرض
آل فرعون على النار مرتين فى كل يوم . . وكونهم يعرضون على
النار . . معناه أنهم يستطيعون أن يميزوا ، وإلا لما عرفوا أن
هذه نار ، وأنهم سيعذبون فيها ، لأن عرضهم عليها كل يوم
لا يمكن أن يكون له معنى . . إلا إذا كان يؤلمهم إيلا ما نفسيا
شديدا . . لأنهم على يقين أنه سيعذبون فيها ، وانتظار البلاء
أشد من وقوعه ، ولو لم يكونوا يتألمون من هذا العرض
ما عرضوا عليها . . لأنه فى هذه الحالة لا يكون هناك هدف قد
تحقق .



الزمن .. وحياة البرزخ

إن في قول الحق تبارك وتعالى :
«النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا»

.. اشاره إلى أن هناك نوعا من الزمن في حياة البرزخ
يختلف عن مقاييس الزمن الذي نعيش فيه ، لأن الغدو
والعشي اوقات من صفات الزمن .

ولكن متى يعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا ؟

.. ان الآية الكريمة تعطينا حالتين لآل فرعون هما :
العرض على النار ، ودخول النار .. هل كان آل فرعون
يعرضون على النار في الحياة الدنيا ؟ .. طبعا لا .. إنهم لو
رأوا النار وهم في الحياة الدنيا لسجدوا لله تبارك وتعالى ولقتلوا
فرعون ذلك الاله المزيف ، لأنه في هذه الحالة سيوردهم
النار .. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ
الْأُورْدُ الْمَوْرُودُ ﴾

«الآية ٩٨ سورة هود»

فلو أن آل فرعون كانوا يعرضون على النار في الحياة الدنيا
لعرفوا أن عبادتهم لفرعون ستؤدى بهم الى العذاب ، وما كانوا
عبده ابدًا ..

ولو قلنا أن آل فرعون يعرضون على النار يوم القيامة ..
لكان ذلك خطأ لأنهم يوم القيام يدخلونها .. والله تبارك
وتعالى يقول :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

« من الآية ٤٦ سورة غفره »

ومراحل حياة الانسان ثلاث : الحياة الدنيا ، وما بين الموت
والبعث (وهى حياة البرزخ) ، وعندما تقوم الساعة . هذه
المراحل الثلاث سنحاول أن نحدد من خلالها متى يعرض آل
فرعون على النار ..

وإذا كان ذلك لم يحدث فى الدنيا ويوم القيامة يدخلون
النار ، فإن العرض لابد أن يتم ما بين الموت والبعث .. أى
فى حياة البرزخ .

اذن فهناك حياة فى البرزخ .. ومن خلال هذه الحياة
يعرض آل فرعون على النار .

والسؤال هنا : هل يعرضون على النار وهم فى
قبورهم ؟ .. أو أنه يتم ذلك بأن الله سبحانه وتعالى يجمعهم
ليعرضوا على النار ..

وسواء تم العرض وهم فى قبورهم .. أو بأى طريقة
أخرى .. فإننا نعرف من الآية الكريمة .. بأن هناك نوعا من
الحياة فى البرزخ فيه تعقل وإحساس .. ونعرف ايضا أن
الإنسان فى البرزخ يعرف أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار ،
وأنه يرى مقعده فى الجنة أو مقعده فى النار ، وذلك مصداقا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» .

ولذلك فإن عذاب القبر أن يرى الإنسان مقعده من النار عذاب رهيب ، لأنه كما قلنا انتظار البلاء أشد من وقوعه . . . ذلك أنه لو عرفت مثلاً يقينا أن ابنك الوحيد سيموت في حادث سيارة بعد عام . . . ألا يكون ذلك عذاباً لك طوال هذا العام . . . حتى أنك تتمنى الموت ليرحك من هذا العذاب . . . إذن فانتظار البلاء أشد عذاباً من وقوعه . . .

على أن هناك آية أخرى . في قوله تبارك وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا قَوْلًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَكْسُوهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَكْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ
الْقُبُورِ﴾

«الآية ١٣ سورة المتحة»

لابد أن نلتفت الى قوله سبحانه وتعالى : «كما يكس الكفار من اصحاب القبور» . . . ومعنى انهم يكسوا أن هناك نوعاً من التعقل قد أدخل في نفوسهم اليأس ، لأنه إذا كان الإنسان في قبره بلا إحساس ولا شعور . . . فهو لا يملك القدرة على أن يأمل أو ييأس ، ولكن كونهم يكسوا يدل على أنهم عرفوا يقينا أن مصيرهم النار .

هذه بعض الصور التي أعطاها الله لنا عن حياة البرزخ . .

لنعرف أنها حياة لها قوانينها ، ولنعرف أن الله سبحانه وتعالى قد اختص آل فرعون بالعرض على النار في حياة البرزخ .. ليتجبرهم وعبادتهم لفرعون .. لأن هذه ليست معصية (أوامر) ، ولكنها معصية (أمر) .. ولأن آل فرعون جاءهم موسى بآيات كثيرة تثبت الألوهية لله سبحانه وتعالى وحده ، ولكنهم سخرُوا بها ، وأن إدخال الكافرين والعاصين إلى النار لا يتم إلا بعد الحساب يوم القيامة .. ولكن مرحلة الحياة في القبر يعرف الإنسان فيها مصيره .. إما يكون منعما في قبره .. فيكون في نعيم لأنه يعرف ما ينتظره .. وأما يكون من أهل النار والعياذ بالله .. فيكون في عذاب شديد لأنه يعرف ما ينتظره .. أما دخول الجنة أو النار .. فلا يتم إلا بعد الحساب يوم القيامة .

وخلاصة القول أن الإنسان كلما تقدم في العلم حسب - زيفا - انه قادر ، وأن القدرة من ذاته ، وأنه متمكن في الأرض ، فيأتي الموت ليفيق من وهمه الكبير ، ويعرف أنه لا ذات له ، وأن كل ما هو موجود في الدنيا هو من صنع الله سبحانه وتعالى ، ولكن الوقت يكون قد فات لأن يتوب .. لأن التوبة ساعة الاحتضار توبة إجبار بعد مارأى ، وعندما يرى الإنسان مصيره ساعة احتضاره لا تكون التوبة إيمانا .. لأن الايمان لا بد أن يكون بالغيب مصداقا لقوله تعالى

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُسِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾

« من الآية ٣ سورة البقرة »

وقد انكشف له ما كان غيبا عنه وانتهت مرحلة الايمان

7.1

الفصل الخامس



الثابت .. يتغير !!

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هناك نوعا
من الحياة فى البرزخ . . ولكن الناس تعيش
هذه الحياة بمفهوم الحياة الدنيا وهذا خطأ .
لأن مفهوم الحياة الدنيا له قوانينه ، وحياة
البرزخ لها قوانينها ، والحياة فى الآخرة لها
قوانينها . وكل من هذه القوانين مختلف تماما
بالنسبة للإنسان . .

فالحياة فى الآخرة مثلا أبدية ليس فيها موت ، والحياة فى
الدنيا فيها موت ، والحياة فى البرزخ فيها كشف لما هو غيب
عنا ، والله تبارك وتعالى قد عرفنا ببعض الآيات الكبرى التى
ستحدث عند نهاية العالم .

هذه الآيات التى نتحدث عنها نعرف يقينا أنها ستحدث ،
لأن الله جل جلاله أخبرنا بها . ولكن ليس من المفروض أن
نعرف كيفية حدوثها .

إن هناك فرقا بين أن تؤمن بالحقيقة ، وأن تعرف كيفية
حدوثها . فالإيمان بالحقيقة شيء ، والإيمان بكيفية حدوثها
شيء آخر . كيفية الحدوث هذه من غيب الله سبحانه وتعالى ،
ولذلك عندما سأل إبراهيم ربه عن الكيفية التى تحدث بها
عملية إحياء الموتى كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَئِنْ كُنْتُ إِلَّا ظَلَمًا لَّيَلَى ﴾

(من الآية ٣٦٠ سورة البقرة)

حاول بعض المشككين من الناس أن يفسر هذه الآية على أساس أنها تمس إيمان ابراهيم أبي الأنبياء عليه السلام . . وهذا افتراء على ابراهيم ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل ابراهيم للناس اماماً . . وَخَصَّهُ تَمَحُّصًا وَابْتِلَاءً بابتلاءات لا حصر لها ولا عد ، ثبت فيها ثبوت الجبال الرواسي ، وجعل من ذريته الأنبياء . ولا يمكن أن يكون كل هذا التكريم لإبراهيم عليه السلام . . الا أن يكون مؤمناً حقاً ، ومن أساسيات إيمانه ان الله قادر على أن يحیی الموتى .

لقد كان سؤال ابراهيم هنا عن الكيفية فقط ، وأراد الله تبارك وتعالى أن يفهم ابراهيم وكذلك الناس جميعاً ألا يسألوا عن الكيفية ، لأنك مع الله سبحانه وتعالى لا تسأل كيف ؟ . . فالله يقول للشيء : « كن فيكون » . . والكيفية هنا فوق قدرات العقول كلها ، ولذلك أدخل الله جل جلاله ابراهيم في تجربة ايمانية ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

هل عَرَفَ الله سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام بالكيفية ؟ . . لا . . ولكنه جعله يشهدها دون أن يعطيه أسرارها ، لأن هذا - كما قلنا - فوق قدرة العقل البشري .



تجربة حية .. للبعث

هذه القصة لم تحدث مع ابراهيم وحده ، بل حدثت مع أحد أنبياء اليهود ، وحدثت مع زكريا عليه السلام ، وحدثت مع مريم عليها السلام .

لقد مر أحد أنبياء اسرائيل على قرية دمرها عذاب من الله تبارك وتعالى .. فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ أَوَكَلَّ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

هذا النبي تساءل عن كيف سيحيي الله هذه القرية بعد أن دمرت تدميراً شديداً ؟ . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يلفته إلى أنه ليس مع الله كيف ؟ . فأماته مائة عام ثم بعثه ، وسأله كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إنه عندما سأل عن الكيفية أماته الله مائة عام ثم بعثه ، ولما

استيقظ لم يكن شيء فيه قد تغير ، بل كان على نفس الهيئة التي مات عليها . . استيقظ شاباً قزياً ، لا شيء حوله ينبئ بأنه مات مائة عام . . ولذلك عندما سأله الله تعالى : ﴿ كَيْفَ لَبِثْتَ ﴾ ؟ قال قياساً على عادة النوم عند الإنسان : ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . . لأن الإنسان لا يستطيع أن ينام أكثر من ذلك . حينئذ أعطاه الله سبحانه وتعالى الدليل المادى على أنه مات مائة عام ثم بعثه . . فقال جل جلاله :

﴿ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَاءَ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

وهكذا أراه الله سبحانه وتعالى من قدراته كيف أنه حفظ له طعامه لم يتغير ولم تؤثر فيه السنون ، ثم نظر الى حماره فوجد أن الحمار أصبح عظاماً نخرة . . أى أنه مات ثم تعفن ثم تحلل حتى أصبح عظاماً نخرة ، وهذا ما لا يمكن أن يحدث بين يوم وليلة ، ثم أعطاه الله آية أخرى ليشهد عودة العظام النخرة وعودة الحياة الى حماره . . حينئذ قال :

﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

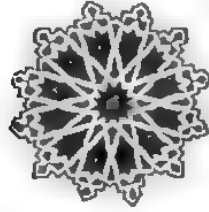
إن طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى . . قد أوقف الزمن عن الطعام فبقى طازجاً لم يفسد ، وأجرى الزمن على الحمار

فأصبح عظاما نخرة . الله تبارك وتعالى يفعل بقدرته الشيء
وضده ، ولكن هل أراه الله جل جلاله الكيفية التي يتم بها
ذلك ؟ .. لا ، ولكنه سبحانه وتعالى أدخله في تجربة عملية
ليعرف أن الله على كل شيء قدير .

وزكريا عليه السلام حين دخل المحراب على مريم فوجد
عندها فاكهة في غير موسمها ماذا فعل ؟ .. لقد اتجه الى الله
سبحانه وتعالى بدلائل القدرة التي رآها .. وطلب منه جل
جلاله أن يرزقه بالولد . لكن زكريا تذكر الأسباب وكيف أنها
منعدمة عنده وعند زوجته فقال كما يحكى القرآن الكريم في
قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنُ لِيْ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِيْ
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ أَلَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

(الآية ٤٠ سورة آل عمران)





الاسباب وطلاقة القدرة

هل أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله زكريا عن الكيفية التي سيعطيها الغلام بدون أسباب؟! إن الأسباب تحكم على من هي عاقر وتقدمت في السن ألا تلد.. فإذا كان زوجها شيخا كبيرا يكون الامتناع أكثر، بل يكون ذلك من المستحيل في أسباب البشر.. لكن من سبب الأسباب لا تعجزه الأسباب ولا تقيد قدرته.. الله سبحانه وتعالى لم يبلغ رسوله الكيفية التي سيتم بها ذلك.. ولكنه قال سبحانه: ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾

ومريم ابنة عمران عندما بشرتها الملائكة بأنها مستلد عيسى ابن مريم.. ومع أنها رأت معجزات كثيرة تخرق قانون الأسباب.. إنه يأتيها الطعام في غير مواسمه، وإنه يتواجد عندها دون أن يحضره أحد، وهذا عطاء من الله لها بدون الأسباب، لكن عندما بشرت بالغلام رجعت الى الأسباب كما يروى لنا القرآن الكريم:

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُبِيًّا قَالَ ذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْدٍ وَلِيَجْعَلَ لَكُمْ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾

(الابتن ٢٠ و ٢١ سورة مريم)

وفي سورة آل عمران :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٤٧ سورة آل عمران)

وهكذا عندما تساءلت مريم كيف سترزق بغلام ولم يمسهها
بشر ؟ .. والطفل - بأسباب الدنيا - لا يأتي الا من اجتماع رجل
وامرأة لم يخبرها الله سبحانه وتعالى عن الكيفية التي سيتم بها
ذلك ولكنه جل جلاله قال : ﴿ قال كذلك قال ربك ﴾ .

كذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى عندما سأله انبياءه
ورسله الذين اصطفاهم واختارهم من خلقه ، وكلفهم بإبلاغ
منهج السماء للأرض .. (كيف) يحدث ما حدث .. قال
الحق جل جلاله : ﴿ قال كذلك قال ربك ﴾ ..

كذلك اذا تحدثنا عن الآية الكونية التي سيربها الله لعباده
والساعة تقترب من موعدها لا نقول ولا نتساءل كيف يحدث
ذلك بعد أن رأينا طلاقة قدرة الله ، وأنه سبحانه وتعالى
لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .
يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم منبثا بما سيحدث
من آيات عندما تقترب النهاية ايذانا بفناء العالم :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

(الآية ٨٢ سورة النمل)

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا انه بعد أن يصل الناس الى قمة العلم الدنيوى .. ويحسبون أنهم قد حكموا كل شيء ، وسيطروا على كل شيء ، وأصبحت الأرض خاضعة لهم .. يأتى الله سبحانه وتعالى بآية تثبت لهم عجزهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .

لقد وصل الإنسان الى القمر ، وقد يصل الى المريخ ، والعلم يعطينا كل يوم شيئاً جديداً ، حتى أنه ألغى المسافات فى العالم كله ، فأصبح الحدث الذى يقع فى منطقة ما ، يراه الناس فى كل انحاء الأرض فى نفس لحظة وقوعه ، وأصبح الإنسان يتكلم فى أى مكان من الأرض ، فيصل صوته الى الدنيا كلها فى نفس لحظة كلامه ، وهناك اختراعات قادمة ربما تحقق أكثر من ذلك .

لكن فى الوقت الذى يكون فيه الإنسان مغترا بعلمه مفتونا بما حقق .. يخرج الله تبارك وتعالى له من الأرض دابة .. هذه الدابة تتحدى قدرات البشر ! فكل ما أتيح لهم من علم ، وكل ما كشفه الله سبحانه وتعالى من أسرار فى كونه للإنسان ، لا يجعله يستطيع أن يجعل الدابة تتكلم .. فيخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض دابة تكلمهم !!

ولكن .. هل ستتكلم هذه الدابة لغة واحدة؟ .. أو ستتكلم بكل لغات الأرض لتكون المعجزة أكبر؟! لا أحد يستطيع أن يجزم بشيء . ولكن هذه الدابة سثبت للبشر جميعا أن علمهم قاصر ومحدود . لقد اعتقدوا - بما وصلوا اليه من علم - أنهم قد سيطروا على كل ما فى الأرض ، ثم فى ظل هذا الاعتقاد الزائف يجدون هذه الدابة التى تتكلم تتحداهم وتثبت عجزهم .

كيف سيحدث ذلك؟!

لقد بينا أنه ليس مع الله كيف .. وستكون هذه الدابة من العلامات التي تدل على أن الساعة أصبحت وشيكة الحدوث .. هذه العلامة هي أن تتكلم الدابة ! علامة أخرى من علامات القيامة يخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها)

لقد ألف الناس في الحياة الدنيا أن الشمس تطلع من المشرق . هذا الإلف الذي حدث بإرادة الله سبحانه وتعالى يقلبه لنا ويخرق قانونه في آخر الزمان ! ..

كيف سيحدث ذلك؟ ..

ليس مطلوبوا منا أن نعرف .. والمهم أن نظام الكون سينقلب ، ويأتى الله تبارك وتعالى إلى النظام الثابت الذى اعتاد عليه الجميع ، ليغيره بعد أن ظن البشر أنه باق وأنه سيظل هكذا دون تغيير أو تبديل .. وأن علمهم الذى حصلوه يتيح لهم القوة والمنعة .

ثم تأتى آية من آيات الله تنقض هذا كله في لحظة ، عندئذ يتبين للناس عجزهم وضعفهم ، وانهم لا يستطيعون - مع قدرة الله جل جلاله حولا ولا قوة .

عندما تطلع الشمس من مغربها

إن هناك فرقا - كما قلنا - بين أن نؤمن بالحقيقة ، وأن نعرف كيفية حدوث هذه الحقيقة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه قبل قيام الساعة ستطلع الشمس من مغربها ، وذلك يؤكد لنا حقيقة أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يغير ولا يتغير ، وأنه لا ثبات ولا بقاء لشيء فى الكون ، وأن كل مانراه ثابتا يأتى له وقت يغيره الله متى شاء .

وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا يقرب ذلك للأذهان - والله المثل الأعلى - بالمجموعة الشمسية التى نعيش فيها فماذا نرى؟! الأرض تدور حول الشمس ، والأرض تدور حول نفسها ، والقمر يدور حول الأرض . الا نجما اسمه الفيجا او النسر الواقع ، والله سبحانه وتعالى قال لنا فى القرآن الكريم :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

(الآية ٢٨ سورة يس)

لقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يضرب لنا صورة حركة الشمس فقال جل جلاله : ﴿ تَجْرِي ﴾ ليلفتنا الى أن حركة الشمس سريعة . لأن الجرى أسرع من المشى . . ومستقر الشمس مكان لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى . .

ومادامت الشمس (تجرى) لمستقر لها ، وأن كل فعل له رد

فعل مساو له في القوة ، ومضاد له في الاتجاه . . فيمكننا أن
ننصور - وهذا مثل لتقريب الصورة فقط ، ولا علاقة له اطلاقا
بكيفية الحدوث - أنه من الممكن إن كان مستقر الشمس هو
نهاية حركتها في اتجاه معين ، أن ترتد على عكس سيرها وبالقوة
ذاتها فتطلع من مغربها .

إنك اذا ضربت كرة بقوة في حائط معين ، فإنها ترتد منه
بنفس القوة وعكس الاتجاه . فاذا كانت المجموعة الشمسية
تسير الى مستقر لها ، فقد يأتي يوم - حين ينتهى مسارها - ترتد
بالعكس . والحق سبحانه وتعالى يقول (والشمس تجري لمستقر
لها) أى أن لها مستقراً ستقف عنده .

قد يكون وقوفها عند المستقر يجعلها ترتد في عكس
اتجاهها ، فإن كانت تأتى من المشرق ، فستأتى من المغرب .

هذا مثل تقريبي لأننا جميعا لا نستطيع أن نجزم ، أو حتى
نعطى احتمالا لما سيحدث ، ولكنها صورة تقريبية ليتصور
العقل البشرى امكانية طلوع الشمس من مغربها .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا حقيقة هامة مرتبطة بهذه الآية
الكبرى . . هى أنه حين تطلع الشمس من مغربها لا تقبل
التوبة . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه
الشريف :

(إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ
بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)

إذن طلوع الشمس من مغربها هو آية كبرى من آيات الله
ستحدث ، فإذا حدثت لا تقبل التوبة .



السما، والدخان

نتقل بعد ذلك إلى علامة أخرى من علامات الساعة ،
عندما تكون وشيكة الحدوث .. اقرأ قول الحق سبحانه
وتعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا نُورَنَا فِي السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ
هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا
الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾

(الآيات من ١٠-١٢ سورة الدخان)

هذه علامات أخرى من العلامات الكبرى لنهاية العالم ..
وكل الآيات التي تحدثنا عنها هي من العلامات الكبرى لنهاية
العالم ، ذلك أن السماء ستأتى بدخان يغطي الأرض كلها ،
وهذا الدخان سيحيط بكل مكان بعد أن يكون الإنسان قد
عصى واغتر وترك منهج الله ، واعتقد أن الدنيا تسير بقوانينه
هو . حيثذ يأتي هذا الدخان وفيه عذاب للناس ومحيط
بالأرض .. فيتضرع الناس الى الله تبارك وتعالى ان يرفع عنهم
العذاب لأنهم آمنوا وثابوا وعادوا الى طريق المنهج ..

ولكن بمجرد أن يرفع الله عنهم العذاب يرتدون كافرين !!
فتأتى بعد ذلك البطشة الكبرى والانتقام الإلهى من أولئك
الذين يَرَوْنَ آيات الله ويحذونها .

أن هذه التحديات التي أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم هي الآيات الكبرى لقرب نهاية
العالم . لقد تحدى الله سبحانه البشر جميعا أن يجاروا فعله
وقدرته . يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لِلَّهِ إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ
يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

٠ (الأنعام ٧٣ و ٧٤ سورة الحج)

هذا التحدى من الله لخلق الله جميعا تحد استمر أربعة عشر
قرنا وسيستمر حتى نهاية العالم دون أن يستطيع الإنسان أن
يخلق ذبابة . . ذلك المخلوق الضعيف الذى أراد الله سبحانه
وتعالى أن يتحدى به الدنيا كلها مجتمعة دون ما تحديد لزمان
أو مكان ، ودون ما تحديد لشعب معين أو لفئة معينة أو لجنس
معين ، وإنما طلب الله تبارك وتعالى من علماء العالم جميعا أن
يتحدوا ويتعاونوا ويتكاتفوا ليخلقوا الخلية الحية ، ولكنهم حتى
الآن وإن استطاعوا أن يحققوا أشياء كثيرة فى علوم الفضاء
وغيرها . . الا انهم لم يستطيعوا أن يخلقوا الخلية الحية .



التحدى قائم ومستمر ..

إذن فهناك تحدى أتى منذ نزول القرآن الكريم ، وتحدى أتى قرب نهاية العالم ، وكل هذه التحديات لم يستطع أحد أن يواجهها ، لأن المتحدى هو الله سبحانه وتعالى ، وكلما مر الزمن .. يأتى الله بتحديات أكبر للبشر ، لماذا ؟ لأنه كلما مر الزمن ضعف الخط الإيماني .. وازداد الناس تعلقا بالعلم وازدادوا غرورا بعقولهم .. والله تبارك وتعالى يبين لهم تفاهة علمهم بالنسبة للقدرة الإلهية .

ولعل بعض الناس يتساءلون هل سيضعف القرآن فى آخر الزمان كما يضعف الخط الإيماني ؟! ونقول لا .. إن الإيمان سيضعف ، ولكن القرآن سيعلو ، ونحن نرى ذلك الآن . فبينما يقل الإيمان ، يعلو القرآن .. فنجد من يهتم بطباعة المصاحف الأنيقة المزخرفة بماء الذهب ، ونجد أن كل إنسان حريص على أن يكون عنده مصحف أو أكثر فى بيته ، أو فى سيارته أو فى محل عمله وربما لوبحث لوجدت أنه لم يقرأه ولو مرة واحدة .. وتجد من غير المسلمين من يعتنى بطباعة القرآن طبعا فاخرة ، ومن يكتب القرآن كله فى صفحة واحدة ، ومطابع المصاحف فى اليابان وإيطاليا وألمانيا الغربية .. كل هذا يحدث الآن .. حتى أن الله سبحانه وتعالى يسخر غير المسلمين بطباعة القرآن بشكل يليق بجلالة كلماته !! ولذلك فأنت تتعجب حين ترى من ليس بمسلم يخدم طباعة القرآن .. ولا يخدم طباعة الكتاب الذى يؤمن به !! .

إن خط القرآن سيعلو ، لأنه محفوظ من الله سبحانه
وتعالى .. ولكن الخط الإيماني هو الذي سيضعف كلما تقدم
الزمن .

وكان المفروض أن يكون العكس .. لارتفاع مدارك
الإنسان واطلاعه على بعض ما أظهره الله له من أسرار الكون
وقوانينه التي دفعته الى الرقى والتقدم !!
.. نأت بعد ذلك الى قول الحق جل جلاله :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ
حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

في هذه الآية الكريمة يعطينا الله تبارك وتعالى مثل الحياة
الدنيا من أولها الى آخرها ، من البداية الى النهاية . فكل ما في
هذا الكون نزل من السماء قبل وجود الخلق ليبدأ دورته على
الأرض .

الله جل جلاله يشبه لنا الحياة الدنيا بالماء الذي ينزل من
السماء . فبدون الماء الذي ينزل من السماء لا تكون هناك حياة
على الأرض .. ولو امتنع المطر لمات كل من عليها من انسان

وحیوان ونبات .. ولأصبحت الأرض صحراء جرداء أو أرضاً
میتة ..

اذن أسباب الحياة تأتي كلها من السماء ، انها تنزل طاهرة
مطهرة ، فتختلط بالأرض ، وتعطى للناس ما يأكلونه وتأكل
أنعامهم .. تعطیهم الغذاء والماء ونما یحفظ حیاتهم ..
حينئذ يبدأ الناس في تزيين الأرض .. وكل ما على الأرض
هو زينة لها .. مصداقاً لقوله سبحانه تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الآية ٧ سورة الكهف)

ويجب أن نلتفت الى نص الآية الكريمة .. لماذا لم يقل الحق
جل جلاله (زينة لكم) ؟ .. ذلك لأن كل ما على الأرض
لا يستطيع أحد أن يملكه ، فهو يبقى في الأرض حتى يرث الله
الأرض ومن عليها ، فملكه الناس هي ملكية مجازية .. انهم
مستخلفون فيما ملكوا ..

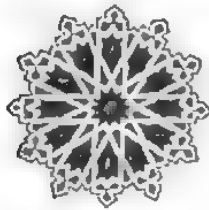
أنا أقول مثلاً أنا أملك هذه العمارة . ولكنها في الحقيقة
مستتقل بعد أن أفارق الدنيا من يد الى يد الى اناس كثيرين ،
كل منهم يدعى أنه مالکها ، ثم يتركها ويمضي ويأتي آخر
وهكذا .

اذن كل ما على الأرض من زينة ومن حقائق فيها من
الثمرات ، ومن عمارات يتفنن أصحابها في أن تبدو في شكل
جميل جذاب .. زينة يتمتع بها حتى من لا يملكها بمتعة النظر .

اننا في الحقيقة نزين الأرض ، والزينة على الأرض تزداد كلما تقدم الإنسان في العلم واكتشف وسائل جديدة تزيد من زينة الأرض . . وتجعلها مكان اقامة مزيناً للإنسان جيلاً بعد جيل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

واذا أردنا ان نجعل مافصلنا نقول : انه ليس مع الله سبحانه وتعالى كيف . . وانه جل جلاله اذا قال « كن » فإن الشيء يكون ، وانه كلما تقدم العلم ظن الناس أنهم قد سيطروا على الأرض وما فيها ويستطيعون أن يفعلوا بها ما يشاءون .

حينئذ يأتي أمر الله ليهلك هذا كله ، وتظهر الحقيقة للبشر كل البشر ، انها لن تظهر كغيبيات مطلوب الإيمان بها . . ولكنها كوقائع مشهودة عندما تأتي نهاية العالم .



الفصل السادس



ونعرف الحقيقة

صلى الانسان وغرورة صوراً له - بعد ان
كشف الله له بعض اسرار كونه - انه قادر
على تسيير الحياة وفق مشيئته وتديره ،
فابتعد عن منهج الله وشرع لنفسه ، وهذا
جهل مطبق ، وغرور لا يستند الى اساس ،
واذا كنا نسمع الان صيحات الجهالة بأن
عصر الايمان قد انتهى وبدأ عصر العلم ، فما هذه الصيحات
الا مقدمة لأن يعبد الانسان ذاته ونفسه .
الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ كُلُّ النَّاسِ وَالْأَنْعَامُ
حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَنْسِ كَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

لقد استطاع الانسان ان يضيف على الارض زينة وزخرفاً لم
تعرفها العصور السابقة من قبل . . وكل يوم يعطى العلم
جديداً يزيد فى رفاهية الانسان . . ولكن هل أضاف الانسان
شيئاً من اساسيات الحياة وضرورياتها ؟
ويجب ان ندرك جيداً ان الانسان ليس اصيلاً فى الكون ،
وانما هو طارئ عليه ، إنه يأتى ويعيش فترة محدودة ثم تنتهى

حياته ، والانسان لا علاقه له بعمر الدنيا ، ذلك أن الدنيا قد يكون عمرها مئات الألوف من السنين او ملايين السنين ، لكن هذا يجب ألا يشغلنا ، انما الذى يشغلنا هو فترة حياة كل منا على هذا الارض . . إنها لن تزيد عن مائة سنة او اكثر قليلا .

ان ثبات الكون يعطينا شعورا (وهميا) بشيئين :
الشعور الاول : ان هذا الكون ليس له نهاية ، ومهما قال الناس عن نهاية الكون ، تجد كل من يعيش فيه يعتقد انه لازال هناك ملايين السنين حتى ينتهى الكون . . وهذا مجرد وهم .

والثانى : هو أن الاشياء التى نخدمنا فى الكون تعطينا بذاتنا . . وهو ايضا وهم . . انها فى الحقيقة تعطينا بقدرات الله سبحانه وتعالى ، وكل شىء فى هذا الكون خاضع لقدرة خالقه ، ولا يحدث شىء فى كون الله يخرج عن مراد الله الفعلى ، ولا يستطيع الانسان الا ان يزين الارض بما اودعه الله فيه من قدرات ، وكل ما على الارض هو زينة لها . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴾

(الابتن ٨٠٧ سورة الكهف)

اذن فكل ما هو على الارض وما تراه انما هو زينة للارض نفسها ، وانت تستمتع بزينة الارض مادمت عليها ، فإذا انتهى عمرك ، انتهى تمتعك بزينة الارض . . تذهب انت ولكن ما على الارض يبقى زينة لها . . ويوم يأتى امر الله وينتهى هذا

العالم يصبح كل ما على الارض من زينة حطاما .. وينتهى كل شيء .

الله سبحانه وتعالى حين يجد أن الانسان قد اغتر بنفسه وترك منهج السماء رغم ما اعطاه الله سبحانه وتعالى من آيات تثبت ان الخالق هو الله ، تكون مهمة الحياة الدنيا قد انتهت .. ثم يطلع الله سبحانه تعالى بعد ذلك الانسان على الحقيقة وكأنه يقول له :

لقد غرتك نفسك وابتعدت عن المنهج ، واعتقدت أنك تسير الكون بذاتك ، ولذلك سأطلعك على الحقيقة .
ومن هنا يجب ان نتنبه الى معنى الآية الكريمة :

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

(من الآية ٢٤ سورة يونس)

بأن هذا ظن وليس حقيقة .. لانهم ليسوا قادرين عليها ، لكنهم يتوهمون ذلك .. وهذا زيف .
حينئذ يأتى الحق سبحانه وتعالى ويغير الشيء الثابت فى الدنيا بطلاقة قدرته التى ليس لها حدود ، ولا تقيدتها قيود..

نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم

وعن الآيات التي ستؤلى عما لا عهد للانسان به ، والتي تمهد لنهاية العالم .. يخبرنا الله ببعضها كما جاء فى قوله جل جلاله :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا
الْبِهَارُ مُحْجَرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُيِّتَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا
السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ﴾

(الآيات من ١ - ١٤ من سورة التكويد)

متى تحدث هذه الصور المتعددة ؟ انها ستحدث عندما يوحى الله تعالى الى الارض والكون كله أن يدمر. وماهى إلا لحظات حتى يتدمر الكون كله وينتهى . وفى ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ شَأْلَهَا
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُخْبَرُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ

أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَذِي صُورِ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرُوا أَعْمَالَهُمْ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١٠﴾

(سورة الزلزلة)

والوحي هو اعلام بخفاء بين الموحى والموحي اليه . .
لا يفهمه احد الا من اوحى ومن اوحى اليه . . والله سبحانه
وتعالى يوحي ما يشاء لمن يريد ، فليس الوحي مقصورا على
الرسل ، لكنه يشمل مخلوقات كثيرة . فالله سبحانه وتعالى
اوحى الى رسله ، واوحى الى ام موسى مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ
فَالْقِيَّةَ فِي الْقَيْمِ ﴾

(من الآية ٧ سورة القصص)

واوحى الى النحل بقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

(الآية ٦٨ سورة النحل)

كما اوحى الله الى الحوارين اتباع عيسى بن مريم عليه
السلام وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾

(من الآية ١١١ سورة المائدة)

والوحي قد يكون من غير الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله
جل جلاله :

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾

(من الآية ١٢١ سورة الانعام)

ولكن الوحي الشرعى هو من الله سبحانه وتعالى
للسل . .

عندما تأتى نهاية العالم يوحى الله سبحانه وتعالى الى
الارض . . كيف ؟ لقد قلنا انه ليس مع الله كيف . قد يقول
بعض الناس ان الارض جماد لا يعقل ، فكيف يوحى اليها الله
سبحانه وتعالى ؟

نقول ان الخالق جل جلاله قد جعل لكل خلق من خلقه
لغة يتكلمونها . هذه اللغة لانفهمها نحن ، ولكن يفهمها
خالقها ويفهمها المخلوق . ولذلك عندما تقرأ القرآن تجد ان
الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الاسراء)

ومعنى ذلك ان كل شيء فى الكون مسبح بحمد الله عابده
ولكننا بعلمنا القاصر المحدود لا نسمع ولا نفهم هذا
التسبيح . .

يقول جل جلاله تعالى :

﴿وَتَحْمَدُهُمْ دَاوُدُ وَالْجِبَالُ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ﴾

(من الآية ٧٩ الانبياء)

وإياك ان تعتقد ان هذه المخلوقات التي تراها أقل منك ادراكا أو وعيا ، فقد تكون هذه المخلوقات أوفى منك علما . فالنملة عقلت أنه إذا مر جنود سليمان فإنهم سيحطمون مملكة النمل ، ولذلك صاحت محذرة باقى النمل بأن يدخلوا مساكنهم التي يأوون فيها هربا من الانسان حتى ينجوا من التحطيم . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ وَجُنُودُهُ ﴾

(من الآية ١٨ سورة النمل)

كيف عقلت هذه النملة ان الذى يمر هو سليمان عليه السلام وجنوده ؟ ! ومن اين علمت ذلك ؟ ! .. وكيف عقلت أن سليمان وجنوده إذا مروا فإنهم سيحطمون وادى النمل ؟ ! وكيف عرفت وعقلت ان النمل اذا دخل مساكنه فإنه سينجو من التحطيم ؟ ! لا بد ان يكون للنمل علم او عقل هو الذى جعله يفهم كل هذا .. نحن لا ندرى كل هذا بل ونحتقر النملة لصغر حجمها وسهولة القضاء عليها .
واقرأ ما قاله المدهد لسليمان عليه السلام كما يحكى القرآن الكريم :

﴿ فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ أُورَاقَهُمْ لَمَالِكُمْ فَأُوْنِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَا يَجِدُوا
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾

(الأنعام من ٢٢ الى ٢٦ سورة النمل)

كيف احاط الملهد بما لم يحيط به سليمان الذي اوق ملكاً لم
يوثه احد من البشر ؟ ..

ومن الذي اخبر الملهد أن هذه ارض سبأ ، وان الذي
يحكم هذه البلاد امرأة ، وانها ملكة وأن لها عرشا عظيما ، وانها
وقومها يعبدون الشمس من دون الله وان هذا كفر ، وان
الشیطان هو الذي زين لهم ذلك وصدّهم عن سبيل الله ولذلك
فهم لا يهتدون ؟ !

من الذي عرف الملهد ان العبادة لله وحده وأن الله له ملك
السموات والارض. الى اخر ما تقوله لنا هذه الايات الكريمة .
كيف عقل الملهد ذلك بينما نقول نحن عنه انه لا عقل له !!
كيف عرف كل هذه المعلومات وان هذه الارض اسمها مملكة
سبأ ؟

ان هذا كله وغيره مما ورد في القرآن الكريم يؤكد لنا ان
هناك علما لمخلوقات الله لا نعلمه نحن البشر ، وانها تستطيع
ان تميز وتعقل ، وانها وان كانت مخلوقة بالفریزة ، الا ان الله
عز وجل اعطاها ما يمكنها من اداء مهمتها في الكون . . فإذا
كان ذلك مع الحيوان والطير والحشرات ، فإن الارض ايضا

والسماوات تسمعان وتنطقان ..
واقرا قوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَسْمَوْنِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
أَمْتِيَاطُوعًا أَوْ كَرِهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾

(الآية ١١ من سورة فصلت)

الله سبحانه وتعالى كلم السماوات والارض ووردت عليه
السماوات والارض بعد ان سمعت كلام الله عز وجل . وفي
ذلك يقول الله عز وجل :

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا
الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾

(الايات من ١ الى ٥ من الانشقاق)

ومعنى قوله تعالى (وأذنت) أنها سمعت بأذنها - اين نحن
من هذا العلم اللانهائي في هذا الكون ؟ ! اذا كان الله سبحانه
وتعالى قد بين لنا بعض قوانين كونه فاستعلينا عليها وحسبنا ان
الكون خضع لنا بإرادتنا ، واننا نستطيع ان نفعل فيه ما نريد
وان نأمره هذا الكون فيطيع ...
اذا تأملنا هذه الآيات الكريمة نجد ان في الكون علما لانهايا
محجوبا عنا ، وان ما نعلمه هو اقل القليل ..

عندما يعبد الإنسان عقله

حين يكفر الانسان بربه ويعبد عقله ويعتقد انه سيطر على الكون ، يأق أمر الله سبحانه وتعالى ليهدم كل مألوف في الكون أعطى الانسان هذا الشعور الكاذب بأنه قادر على الأرض ، فينتهى هذا المألوف .. تتكور الشمس وتضمحل وتختفى او تطلع من مغربها او تذهب قوتها وضوؤها .. المهم ان الرتبة المعهودة في الشمس والتي الفناها حيث تشرق في الصباح وتغرب في المساء تختفى تماما .. وتتغير قوانين الشمس ، والنجوم التي تتهاكك مع بعضها البعض بقدره الله والتي تسير في مسارات معدة لها بحيث لا يصدم نجم غيره .. هذه النجوم تتصادم وتتناثر ، كذلك الجبال التي على الارض تنسف من مكانها . وفي ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾

(الآية ١٠٠ سورة طه)

أو يخف وزنها .. فهي كالعهن المنفوش ، إن الصورة الكاملة لكل ما سيحدث عند نهاية العالم هو أن المألوف ينتهى .. والذي ألفت انه يخدمك .. وكان يخدمك بتسخير الله له .. قد انتهى تسخير الله واصبح غير مسخر لخدمتك . الارض التي كانت تعطيك الزرع والثمر الذي تأكله لا تعطيك شيئاً ، والجبال التي كانت هي اوتاد الارض تحفظ توازنها ويخزن فيها اقوات البشر تنسف نسفاً ، والشمس التي

كانت تعطيك الدفء والنور وتبعث الحياة في الكون هي
الآخري لم تعد لها مهمة . انتهت مهمتها ، وزينه الأرض التي
كنت تظن انها من صنعك وانك ستبقيها ذهبت وتخلت
عنك . . كل هذا انتهى . . دنيا الاسباب زالت وانتهت وحتى
سيطرتك على نفسك زالت وانتهت .

حتى قدمك لم تعد تخضع لك تمشي بها الى حيث تشاء ، بل
اصبحت تخضع لخالقها الذي كان قد استخلفك فيها وجعلها
تطيعك فيما تريد ، ويدك التي كنت تبطش بها انتهت سيطرتك
عليها ولم تعد تخضع لإرادتك . . بل ان كل أجزاء الجسم التي
اخضعها الله سبحانه وتعالى لمشيئتك أصبحت غير خاضعة
لك . . فأنت تمشي الى حيث اراد الله ولو الى جهنم ، ولسانك
لا ينطق الا اذا شاء الله . . وعينك لا تبصر الا اذا اراد لها الله
دون امر منك . . ولذلك هناك من سيحشر يوم القيامة أعمى
وقد كان في الدنيا بصيرا . . لماذا ؟ . . لأن الله سبحانه وتعالى
هو الذي اعطى لعينه قدرة البصر في الدنيا . . وهو الذي
سلب منه هذه القدرة في الآخرة

لقد كان الناس يحسبون انهم يعيشون بقدراتهم ، ويمشون
بقدراتهم ، ويتكلمون بقدراتهم ، حسبوا انهم عندما اكتشفوا
قوانين الريح . . واستخدموها في اغراضهم الدينية أنهم قد
سيطروا عليها ، ولكن الله سبحانه وتعالى الذي اعطاهم هذه
القوانين يسلبها منهم وهكذا كل شيء حولك تغير . . وكل
شيء ألفته في الدنيا يتغير .

هذا بالنسبة لمن سيكونون احياء عند نهاية العالم ، ولكن
هل من سيكونون في قبورهم عند نهاية العالم ستتغير
قوانينهم ؟ . . نقول نعم . . لأنها بداية مرحلة جديدة للجميع

ولذلك فإن اجسادهم تعود اليهم ، وارواحهم تعود الى
اجسادهم .. يخرجون من الارض وقد ذهب عنهم الموت
الذى لازمهم طوال فترة القبور ..
الله سبحانه وتعالى يخبرنا ان فترة القبور ليست أبدية ،
ولكنها فترة معينة يغادر بعدها الانسان القبر .. فيقول جل
جلاله :

﴿ الْمُسَكَّرَاتُ الْكَائِرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

(الاية ٢٠١ سورة التكاثر)

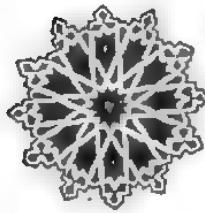
ولا بد ان نلتفت الى قوله سبحانه وتعالى « زرتم » .. ولم
يقُلْ خُلِدْتُمْ أو بقيتم .. ومعنى الزيارة كما نعرفها أنك تذهب
عند قريب أو صديق لتزوره فتبقى عنده فترة من الوقت ثم
تنصرف ، لا تبقى عنده مقيما ولكن زائرا .. وإن طال
الزيارة أو قصرت فإنها فترة تنتهى .. ان هذا ينطبق ايضا على
الموتى سكان القبور منذ عهد ادم حتى نهاية العالم فهم (زوار)
لهذه القبور ، يقضون فيها الوقت ثم يغادرونها ..
ولكن هل يحس الانسان فى القبر بالزمن ؟ .. هل الذين
ماتوا من عهد ادم يحسون بزمن بقائهم فى قبورهم ؟
والجواب لا .. ولذلك عندما يسأل الله الناس بعد ان
يخرجوا من قبورهم .. « كم لبثتم » ماذا يكون جوابهم ؟ ..
اقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْجَحِيمُونَ مَا لِيُشَاءَ غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَلِكَ كَانُوا يُفَكُّونَ وَقَالَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ

لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَالْكَافِرُ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

(الآيَتان ٥٥ ، ٥٦ سورة الروم)

إذن ففي حياة البرزخ لا يحس الانسان بالزمن ، لأن الزمن هو قياس للاحداث ، ومادام ليس هناك أحداث فليس هناك زمن . . وان كل من مات مرصود في كتاب لا يفضل ربى ولا ينسى . . وانه سبحانه احصاهم وعدهم عدا . . لا يتخلف منهم أحد يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وان هذا الكتاب لا يفوته شيء ابداً .





كيف ستعود الأجساد ؟

لابد لنا من وقفة هنا . . بعض الناس يتساءل كيف ستعود
الأجساد كما هي ، وكيف سيعود الأشخاص كما هم . . مع ان
الأجساد بليت ؟

يرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله جل جلاله :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كَافِعِينَ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الانبياء)

وهذا امر يسير على الله سبحانه وتعالى ، لأن الله الذي
اوجد من عدم ، وخلق على غير مثال ، اوجدهم في الحياة
الدنيا ولم يكونوا موجودين ، ويكون اسهل عليه ان يعيدهم في
الآخرة لأنه ايجاد من موجود ، ونحن نستعمل (اسهل) مجازا
لمخاطبة العقول البشرية . . لأنه لا يوجد سهل ولا صعب على
الله تبارك وتعالى . . بل كل شيء عليه جل جلاله هين ولا
يعجزه شيء في الارض ولا في السماء ؟

واذا اردنا ان نقرب هذا الى الاذهان نقول : ان الله قد ميز
كل انسان في الحياة الدنيا بأشياء لا ينطبق فيها مع غيره ، واول
هذه الاشياء هي بصمة الاصبع . . فلا توجد بصمتان
متشابهتان من اول الدنيا الى آخرها . .

وكل جسد إنساني مميز عن غيره . . لذلك تجد ان خلايا
الجسد يعرف بعضها بعضا بشفرة خاصة او بلغة يعلمها الله
تبارك وتعالى . فإذا جرح الإنسان مثلا جرحا كبيرا . . تجد ان

خلايا الجسم تتجانس وتتكاثر حتى تلتئم وتعود الى طبيعتها ،
فإذا جئنا بعضو من جسد وحاولنا ان نزرعه في جسد آخر نجد
انه يلفظه ولا يتقبله !!

كيف ميز الجسد بين ماهو منه ، وماهو من جسد غيره ، مع
ان كل الاجساد متشابهة !! لابد ان لكل جسد شفرة خاصة
تميزه عن الجسد الآخر .. وان هذه الشفرة لا تتكرر .. وحتى
عندما تنجح زراعة الاعضاء فلا بد لمن زرع له عضو من جسد
آخر ان يتناول العقاقير والادوية التي تمنع او تقلل من فعالية
هذه الشفرة حتى لا تلفظ هذا الجزء الغريب الذي نقل من
جسد آخر .

كذلك لكل جسد رائحة خاصة مميزة نحن لا نستطيع ان
نميزها ولكن بعض الحيوانات كالكلاب - مثلاً - تستطيع ..
ولذلك اذا شم منديلاً او قطعة قماش فإنه يستطيع ان يخرج
صاحبها من بين مئات الاشخاص .
وهناك عشرات من الاشياء التي تميز كلا منا عن الآخر ..
تميزاً يجعلك تستطيع ان تخرج الشخص نفسه من بين مئات
الاشخاص .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أعطانا هذا العلم رحمة
بعقولنا .. فإنه يجعلنا نفهم انه عندما تعود الأرواح الى
الأجسام .. ستعود الى الجسد الذي كانت فيه ، حيث يكون
مميزاً عن بقية الأجساد التي وجدت من يوم آدم حتى الى نهاية
العالم .



الإنسان وعناصر الأرض

صحيح اننا جميعا مخلوقون من عناصر الأرض ، ولكن لكل منا خلق مميز وتكوين يختلف عن تكوين الآخر .. ان نسبة العناصر في الجسد ليست واحدة وان كانت العناصر واحدة فكل واحد منا يجتمع فيه الستة عشر عنصرا الموجودة في الأرض ، ولكن النسب تختلف بين كل واحد وآخر . ولتقريب ذلك الى الأذهان فاننا نستطيع بألوان الطلاء ان نتيج درجات مختلفة من اللون لا عدد لها .. فإذا اتينا باللون الأبيض مثلا ووضعنا عليه بعض ذرات من اللون الأصفر لا يختلف ، فاذا زدنا الكمية اختلف اللون ، فاذا جئنا باللون الأحمر ووضعنا عليه نقطة او نقطتين على الخليط لا يختلف ، واذا وضعنا سبع او ثمان نقاط لا يختلف ، وذلك فإن ضبط الألوان عملية في منتهى الدقة .. لان كل زيادة من أى لون .. تعطينا لونا جديدا .

هذا بقدرة المخلوق ، فكيف بقدرة الله سبحانه وتعالى . لقد خلق الإنسان من عناصر الأرض .. وهى - كما قلت - ستة عشر عنصراً أساسياً .. كل ذرة من احد هذه العناصر ان زادت تعطى انسانا مختلفا .. وان نقصت تعطى انسانا مختلفا .. وبقدرة الله جل جلاله تعطينا عددا لانهاثيا في البشر .

وهكذا نرى ان تغييرا أساسيا يحدث بالنسبة للإنسان عندما ينتهى العالم .. ولكن شيئا واحدا سنختلف فيه جميعا .. هو

الصعقة التي ستصيب كل ما هو حي الا من يشاء الله . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾

(من الآية ٦٨ سورة الزمر)

ان هذه الآية تلفتنا الى شيئين هما ان الله تبارك وتعالى قد استثنى بعض خلقه من الصعقة التي ستحدث . . فكان هناك من لن تصيبه الصعقة وهؤلاء في علم الله .
وعندما ينتهي العالم وينتهي علم الانسان الذي ظن انه سيطر به على الارض . . يعرف الناس الحقيقة ويعرفون ان علمهم كان علما ظاهريا . . مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾

(الآية ٧ سورة الروم)

عند ذلك يعرف الناس العلم الحقيقي وبعد ان كان هذا العلم قد اعطاه الله سبحانه وتعالى لنا (علم يقين) في الحياة الدنيا يصبح (عين يقين) . . فهناك علم يقين ، وحق يقين ، وعين يقين . فما الفرق بينهما ؟

نقول : إن العلم الذي نأخذه عن الله سبحانه وتعالى هو علم يقين . . لأنه صادر عن الحق جل جلاله . فالمؤمن يوقن ان ذلك سيحدث فعلا وكأنه يراه امامه .

والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرَ امْرِئٍ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ
هُمْ غَافِلُونَ ﴾

(الايات ٥٠ ، ٦٠ ، ٧ سورة التكاثر)

فكأننا نأخذ العلم عن الله سبحانه وتعالى بأنه علم يقين ،
ثم بعد ذلك عندما نرى الغيب بعد خروج الروح سواء في
حياة البرزخ او يوم القيامة فإن رؤيتنا له هي رؤية (عين يقين)
اي نراه بأعيننا وهو امامنا . . اما بعد الحساب فإن الرؤية
تكون في هذه الحالة حق اليقين ، لانه من يدخل النار ويصبح
في داخلها يكون ذلك (حق يقين) انه تذوقها وأحسها ومن
يدخل الجنة يكون ذلك (حق يقين) لأنه قد تذوق نعيمها بعد
ان رآها ودخلها .

وهكذا مع نهاية العالم ينتهى كل زيف من علم الانسان
ويرى أمامه كل شيء على حقيقته وبلا زيف وفي يقين كامل ،
فيرى الملائكة ، ويرى الشياطين ويرى الجنة ويرى النار
ويعرف عظمة خالقه جل وعلا . . ويعلم يقينا انه لاحول ولا
قوة في هذا الكون الا الله سبحانه وتعالى . .

وتنتهى دنيا الاسباب بشموسها واقمارها ونجومها . .
لتشرق الارض الجديدة بنور ربها سبحانه وتعالى ثم يوضع
الكتاب ويقام الميزان وتُوفَّى كل نفس ما عملت بعد ان انتهت
دنيا الاسباب واصبحنا في حضرة الله مسبب الاسباب
هذه بعض خواطرى عن نهاية العالم . . والله اسأل ان
يوفقنا ويهدينا سواء السبيل . .

فهرست

صفحة	الفصل الأول :
۳	التغير والتأثير
۸	● الانسان .. وقوانين المتغيرات
۱۱	● العقل واكتشافات الكون
۱۷	● بقدرات الله .. لا بقدرتك
۱۹	● المغييات والغرور الانساني
	الفصل الثاني :
۲۱	البطية والنهاية
۲۴	● الانسان وعناصر الارض
۲۷	● ماهي الروح
۲۹	● الروح من امر ربي
۳۵	● لا تقتر .. فلولوت يأتى بقت
	الفصل الثالث
۳۷	الاستقبال الالهي الحية
۴۲	● الله احسن الخالقين
۴۴	● ماذا خلق الله
۵۰	● الايمان .. والتقدم العلمي
۵۳	● آيات الله .. وارتقاء الكون
	الفصل الرابع
۵۵	المأثور ينتهي
۶۰	● اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع
۶۵	● العرض على النار .. كيف ؟
۶۸	● الزمن .. وحياة البرذخ
	الفصل الخامس :
۷۳	تأثير يتغير
۷۶	● تجربة حية .. للبعث
۷۹	● الاسباب وطلاقة القدرة

- عندما تطلع الشمس من مغربها..... ٨٢
- السماء والنجان ٨٥
- التحدي قائم ومستمر .. ٨٧

الفصل السادس :

- ٩١
- ونعرف الحقيقة
- نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم ٩٥
 - عندما يعبد الانسان عقله ١٠١
 - كيف مستعود الاجساد ١٠٥
 - الانسان وعناصر الارض ١٠٧

رقم الإيداع ٣٣٢٨ / ٩٨

الترقيم الدولي

I. S. B. N.

977 - 08 - 0714 - 6

